محكمة الظل

رواية

أحمد سلامة

دار بيوند للنشر والتوزيع
4 ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
01096900007
Beyond.dbh@gmail.com

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار
جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن

الكتاب: محكمة الظل

المؤلف: أحمد سلامة

الطبعة: الأولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف:

التدقيق اللغوي: سوزان خليفة

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي

رقم الإيداع: 2018/10722

الترقيم الدولي: 978-977-6645-16-5

رأي دار النشر

اهداء

إلى من شجعني على القيام بهذا العمل

إلى من آمن بموهبتي

إلى كل من ساعدني

إليك أنت, نعم أنت

شكراً

رسالة

إلى ظلي الذي سوف يقبض روحي في محكمة الظل, أنتظرك يا صديقي وأعلم أنه في يوم ما سوف نلتقي ولكن حينما نلتقي هل سترأف بحالي أم أنك سوف تنساق لقوانين المحكمة بلا رحمة ولا شفقة ولا ينفع الندم؟

كل ما أريده يا صديقي إن جاء ذلك اليوم ولم أكن مستعداً للمحاكمة بقلب صافي, أرجوك فلترأف بحالي واجعل موتي سريعاً لا أريد أن أتألم ولا تقلق, فأنا لن ألومك على قتلي, فبالفعل حينها سأستحق الموت.

- أخرج من هنا أيها الفتى و اروي للناس قصة ظلال عاشوا مع الغائب في الحاضر و مع الماضي في المستقبل, و جمع شملهم الحب, اذهب أيها الفتى فقد حان وقت أن تختفي الظلال.

**

مقدمة

إذا رأيت في يومِ بحراً هائجاً فلا تخف منه فبالرغم من منظره المخيف إلا أن في نهايته مياه صافية ينعكس عليها ضياء القمر فما أجمل صورته محاطة بالنجوم يبعث في القلب الراحة والطمأنينة.... فإذا قابلت هذا البحر في يوم فلتعبره من دون خوف ولا يأس وإلا إبتلعتك أمواجه الهائجة وهلكت كغيرك, تحلى بالإرادة والإصرار والقلب الصافي لتصل إلى القمر.

فذلك البحر هو الشيء المدعو بال..... "حب"

أحيانا يستغرق الإنسان عمره لكي يجد حبه الصادق, وأحيانا يستمر سنوات وإن حالفك الحظ ووجدته، تبذل مجهوداً كبيراً لإثبات ذلك,

لكن فقط القلوب الصافية حينما تتلاقى توقن من أول لحظة أنها عاشقة بدون دليل, فعندها يتوقف الحاجز الزمني وقد تشعران أنكما عاشقان من الدهر وفي سبيل بقاء هذا المدعو ب

" الحب الصادق " قد تضحي بأى شيء حتي إن كانت "حياتك"

سؤال بسيط، إذا كنت في محكمة, و كنت الجاني الذي ارتكب الجرائم, والقاضي العادل الذي سوف يحكم عليك, والجلاد الصارم الذي سيعاقبك كيف ستكون حينها, عندما تشعر بأنك أنت من تحاكم نفسك.

فكرت أم ترددت بشأن إجابتك!!

لا يهم

لأنه مهما كانت إجابتك سوف تختلف عندما ترى

..... " محكمة الظل " .....

في إحدى الليالى التي لا تختلف عن غيرها كثيراً إلا في أنها متقلبة الأحوال الجوية, كان الصمت غالب علي الأجواء, ولكن ذلك الصمت لن يدوم كثيراً فقد قطعته ضحكات بعض الأصدقاء العالية التي كانت واضحة وسط هذا الصمت الرهيب, كان الأصدقاء عائدين من حفلة صاخبة من الحفلات التي تقام كل عام في نفس التوقيت

" فقد نسيت أن أخبركم بأن اليوم هو عشية عيد الميلاد "

كانوا خمسة من الأصدقاء يظهر عليهم الشباب وصغر السن وقد كان عمرهم يتراوح مابين العشرين والخامسة والعشرين , كانوا ثلاثة فتيان وفتاتين.

قرر الأصدقاء أن يعودوا إلى منازلهم مستخدمين هذا الطريق الذي لأول مرة يسلكونه بدافع المغامرة اتباعاً لرأي ماركو؛ الذي قال لهم أن الوقت مازال باكراً ويريد أن يأخذوا جولة بالسيارة فقد كانت الساعة قرابة الحادية عشر قبل منتصف الليل.

مع ضحكات الأصدقاء لخفة ظل سيمون قال ماركو:

- " ياله من عيد ميلاد رائع لقد استمتعنا كثيراً بهذا الاحتفال "

ثم نظر إلى ليو نظرة سخرية فقد كان ماركو دائم السخرية من ليو وقال له ساخراً:

- " أليس كذلك يا ليو"

ماركو شاب في الخامسة والعشرين من عمره, يميزه شعره البني وبياض وجهه فيمكنك رؤية وسامته بسهولة, ولكن أيضاً يمكنك أن ترى بوضوح من نظرة عينه كم هو مغرور ومتعالي؛ يمتلك جسد قوي؛ غالباً ما استخدمه في الشجار.

فرد عليه ليو بنفس لهجة السخرية:

- " أجل لقد كان يوم حافل ومليء بالمفاجئات "

ثم رماه بنظرة حانقة:

- " ولكن هناك بعض الأشخاص التي تعكر صفو الاحتفالات... يااا ماركو "

ليو شاب يتسم بالوسامة والشعر الأسود الناعم يرتدي ملابس تبدو غالية الثمن فهو من عائلة غنية، مات والداه في حادث وهو يعيش وحده بالمال الذي ورثه عن والديه, يبدو من ملامح وجهه أنه حريص وخجول.. قد أستطيع القول بأنه جبان

بدأ الغيظ يظهر على وجه ماركو وهو يقول بنبرة حادة:

- " أظن أنك أنت الذي لا تعرف كيف يكون الاحتفال "

بدأت معالم الشجار تظهر على الاثنين وصاح ليو:

- " ماذا تقصد يا ماركو"

كاد أن يقوم شجار بين الاثنين لولا تدخل سيمون بينهما قائلاً بطريقته المرحة:

- " شباب كفاكم شجار ولا تعكروا صفو اليوم, لا أريد أن أنسى شكل النساء الحسناوات "

كان سيمون يتميز بطول قامته ومظهره الحسن, و تدل ملابسه على رقي مستواه الاجتماعي, يتمتع بروح المداعبة, فقد كان يمتلك حس الفكاهة الذي كان يظهر في بلاهته المصطنعة ونكاته الساخرة.

ولكن عذراً ياصديقي سيمون لا أعتقد أن ليو وماركو فقط من يريدان أن يعكروا صفو هذا اليوم فقد حزنت السماء في ذلك الوقت و بللتهم بقطرات دموعها الغزيرة. ومع جدال الأصدقاء فقد ماركو السيطرة, وعثرت السيارة في بقعة من الطين العميق السميك ومع محاولات فاشلة نزلوا من السيارة آملين أن يجدوا غيرها يمر من ذلك الطريق.

قالت جوليا بصوت حزين وهي تحاول أن تحمي شعرها من الأمطار المتساقطة:

- " ياله من حظ سيء لن يكتمل اليوم على خير، ما هذا التغير المفاجئ, أظن أن المطر سيشتد "

جوليا هي فتاة غاية في الجمال معتدلة القوام لها شعر أصفر اللون ذات إبتسامة ساحرة ونظرات جريئة تستطيع أن تأسرك من الوهلة الأولى وكانت ممسكة بيد حبيبها ليو.

تابعها سيمون وهو يحاول أن يحمي أخته من المطر فقد خلع عنه الجاكيت ووضعه على أخته كالمظلة:

- " إنه نزير شؤم, لابد أن نجد لنا مأوى من هذه الأمطار"

في ذلك الوقت ازداد المطر كثيراً, وبدء يحدث وميض يضيء المكان من حولهم, ولكن تلك الإضاءة كانت مخيفة وخاصة عندما يصاحبها صوت يخطف القلوب كان ذلك البرق والرعد؛ كان البرق يضيء الطريق, فيضيف عليه لمسة من الرعب تخطف القلوب, ولكن كان له فائدة فقد لمحت إليزا من خلال البرق قصراً يبتعد بعض الأمتار عنهم فقالت على عجالة:

- " أنظروا جميعاً هناك منزل, فلنذهب إليه, هيا نذهب لنحتمي به سريعاً "

إليزا كان عمرها لم يزد عن الثامنة عشر, وكانت أصغر الأصدقاء وأكثرهم براءة, لها عينان خضراوان ووجه مستدير.. ترتدي فستاناً رائعاً المظهر وكانت تحب أخيها سيمون كثيراً؛ كان والدا الأخوين منفصلين ويعيشان مع والدتهما.

بالفعل أسرع الأصدقاء تجاه هذا القصر, صدقوني عندما أقول أن المطر كان أجمل بكثير من دخول هذا القصر. كان يبدو عليه قصر

عتيق, بوابة حديقته كانت مفتوحة وتتحرك بفعل الرياح محدثة صرير مرعب وكل النباتات في الحديقة ذابلة لايوجد سوى الأعشاب الضارة وبعض الأشجار التي تحتضن البيت, تترقبه أعين البوم والغربان كما لو كانوا يحرسونه و يتوعدون من يتجرء على الدخول بنظرات حادة مخترقة المطر والرؤية الضبابية؛ لتنشر الرهبة في قلبك. كان القصر قاتم اللون, أضف إلى كل ذلك صاعقة الرعد التي تنزل عليه وضوء البرق والأمطار التي تغسله وكأن رساماً رسم لوحة بها بيت يبكي وتحتضنه الأشجار لتواسيه مع ضوء البرق المرعب لو ظننتم أن بيت الساحرة الشريرة بأفلام الأطفال مخيف, فأنتم لم تروا هذا القصر.

عندما دخل الأصدقاء من بوابة الحديقة ليحتموا في هذا القصر و رأوا تلك اللوحة المرعبة ما كان من ليو سوى أن يقول خائفاً:

- " ياله من قصر عتيق ألا ترون أغصان الأشجار كيف تلتف حوله, وما بها أعين البوم تراقبنا منذ أن دخلنا كما لو كانت ستنقض علينا**!** "

ينتفض الأصدقاء فجأة

- " ماذا يحدث**؟!** "

قالتها إليزا وهى مختبئة خلف أخيها

ليرد ماركو ساخراً:

- " إنها الغربان تهرب من أعشاشها محدثة ضجة لترحب بنا "

ثم يتابع مقترباً من ليو واضعاً يده على كتفه قائلاً

- " وربما تكون مثلك خائفة "

ابتعد ليو عنه مستنكراً سخريته, ثم ابتلع ريقه, ووضع يده على قلبه وتابع:

- " إن جدرانه التي أنهكها الزمن تبعث ذلك الشيء الذي يُنهك القلب, ليطلق ضرباته متنباً بخطر يجب النفور منه لا أريد أن أدخل ذلك المنزل "

وبالطبع لم يجد صديقنا ماركو فرصة أفضل من تلك لكي يسخر من خوف ليو فضحك ضحكاته الساخرة قائلاً:

- " يالك من جبان تزين الخوف في قالب من فلسفة القلوب التي يسكنها الخوف والضعف "

ثم تابع في غرور وثقة:

- " إنه مجرد منزل, قد يكون ساكنه عجوزاً لا تقوى على فرش الأرض ورود ورسم أغصان الأشجار كالأحضان لاستقبال أميرنا الفيلسوف الصغير "

في ذلك الوقت كان الجميع في حالة حانقة من المطر, وكانوا راضين بأي حل يحميهم من المطر فشجعهم ماركو قائلاً:

- " هيا بنا سوف نطرق الباب قبل أن تجعل منا العاصفة طعاماً للغربان، إذا أردت فلتبق أنت يا ليو"

فما كان من الأربعة إلا اتباعه إلى طريق القصر ليطرقوا الباب ويطلبوا من ساكنيه أن يحتموا بالداخل حتى تنتهي العاصفة, اقتربوا من باب القصر وطرقوا الباب عدة مرات, لكن ما من مجيب.

جوليا بصوت حانق:

- " ماذا؟ ألا يوجد أحد أم أنهم نائمون كالموتى**!** "

يقاطعها ليو ساخراً من ماركو:

- " ترى هل ماتت العجوز يا ماركو؟**!** "

الجميع يتأففون ممسكين ببعضهم البعض كي تدفئهم حرارة أجسادهم قبل أن يتجمدوا من البرودة, ومحاولات ماركو في الطرق على الباب ربما يستيقظ أحد كما لو كان يوقظ ميتاً, بينما لفت أنتباه سيمون شيئاً ما متوهجاً بجوار باب القصر من الناحية الأخرى فناداهم سيمون:

- " أنظروا هناك تحت المظلة أظن أن هذه نيران "

لتؤكد على كلامه إليزا:

- " نعم أظن أن أحد ما أشعلها "

ماركو وفي عينيه نظرة النصر قائلاً:

- " هذا يعنى أن هناك من بالمنزل "
- " ولكن كيف تكون هناك نيران مشتعلة في ظل هذه الرياح! "

كانت هذه كلمات ليو الذي ازداد حيرة ونفوراً من ذاك المكان

- " صدقني لن تبق مشتعلة طويلاً مادمنا واقفين هنا نثرثر ونتجمد من البرد "

جاءت كلمات جوليا الغاضبة لتدفعهم للذهاب إلى هناك والاقتراب للحصول على التدفئة، مشوا متجهين في الجهة الخلفية للمنزل حيث كان يعلوه سطح خشبي يحميهم من المطر.

- " ما هذا! "

كان سؤال سيمون عليهم هو نفس السؤال الذي يدور برؤوسهم حالة من الإندهاش مما وجدوه والصمت الذي قطعه ليو

- " إنها ليست نيران! "
- " نعم نستطيع أن نرى ذلك أيضاً أيها الذكي "
- " ليس هذا الوقت المناسب يا ماركو للشجار "

كانت تلك مقاطعة جوليا وهي في مرحلة عنق الزجاجة, حيث لم تقف كلماتها عند هذا الحد لتنفجر قائلة:

- " فسروا لي الآن كيف يمكن لأحجار أن تكون مضيئة!"

ليتفق معها سيمون متابعاً:

- " لم يسبق لي أن رأيت أحجاراً تضيء! "
- " لكني رأيت "

اقتربت إليزا منها مدققة النظر وتابعت:

- " أعتقد أنني رأيت مثلها على الإنترنت, إنها نوع من الأحجار التي تضيء ليلاً تسمى " لومينوس " لكن من المفترض أنها تضيء لون أزرق! "

أضاف على كلامها ليو:

- " ولكنها تتوهج باللون الأحمر كما لو كانت مشتعلة "
- " ماذا هناك يا ليو! ما يضيء باللون الأزرق يضيء بأي لون آخر "

ثم استكمل ماركو كلامه بلهجة السخرية:

- " هل سنظل نتجادل أزرق أم أحمر! إنها مجرد أحجار لعينة متوهجة لن تأكلنا ولأثبت لكم سأخذ واحدة "

وهم ليأخذ إحداها, كانت الأحجار مصفوفة فوق بعضها في شكل مثلثي دقيق يضيء باللون الأحمر كجمرة من النار المشتعلة لتظن أنها سوف تحرقك بمجرد أن تقترب.

- " يداى.. ساعدوني "

جاءت كلمات ماركو لتفزعهم لتسأله إليزا

- " ماركو ما بك لماذا تصرخ "
- " إنه الحجر اللعين يداي لا أستطيع تحمل الألم "

اقترب الجميع منه فزعين ليروا ما الذي حدث لابد وأنه ذاك الحجر الملعون, ليفاجئهم ماركو بضحكاته العالية

- " هاهاهاها لا أصدق أنكم صدقتموني "

لينقض عليه ليو غاضباً من سخافته ويمسكه سيمون من كتفه "

- " اهدأ يا ليو دعك من حماقاته "
- " حسناً يارفاق كنت أمزح فقط فما ذنبي أنكم حمقى ماذا! هل اعتقدتم أن شيطاناً أحمر صغير خرج من الحجارة ليلتهم يدي, ثم تابع قائلاً بينما يأخذ حجر آخر
- " اعتقد أنني سآخذ واحداً آخر.... "

قاطع كلامه أنهيار المثلث الهرمي للأحجار عندما اختل توازنه.

ليكمل ماركو كلامه

- " لأحتفظ به! "

إبتعد الجميع عن الغبار بينما لفت انتباه ليو شيء ما أسود وسط الأحجار المضيئة.

كانت صخرة مستطيلة الشكل رسم عليها بعض الرموز غير المفهومة, كان هناك بعض الجمل المحفورة والواضح عليها أنها كتبت منذ زمن بعيد فقد بهتت, وبالكاد يمكن قراءة بعضها بصعوبة.

سأل ليو متعجباً بينما كان يسعل بسبب الغبار

- " إنهـا صـخرة مـا, ولكـن لمـاذا كانـت مختبئـة تحـت الأحجار! "

ليبتسم ماركو ابتسامة ماكرة

- " ربما تكون ثمينة, إبتعد حتى أرى قد نكون على وشك أكتشاف أحد الصخور النادرة الثمينة "

ثم يقرب عيناه المليئة بالطمع متفحصاً إياها

- " ماهذا هل هذه نقوش أو شـيء مـا! لا أرى جيداً لـم أجلب نظارتي "

ثم اقترب ليو هو الآخر

- " نعم محفور عليها بعض الكلمات..

فـأزال الغبـار بوشـاحه ليـرى جيداً مـا كتـب عليهـا, وكانـت عبـارة عـن بعض الجمل التي تكاد تظهر بصعوبة

" أرحلوا فأنتم غير مرغوب بكم "

" عودوا من حيث أتيتم ستجدون بالداخل أسوأ كوابيسكم "

" من يتجرأ على اقتحام منزلي سيندم "

" ..... "

وكانت آخر جملة صعبة القراءة فقد بهتت كثيراً بفعل عوامل التعرية وهنا جائت كلمات ليو بفزع:

- " ألم أقل لكم أنني غير مطمئن لهذا المنزل, هذا التحذير واضح ويجب أن نتبعه ولا ندخل المنزل ",

بينما تجلس جوليا في أحد زوايا المكان تضم ذراعيها وساقيها لتدفئة نفسها قائلة:

- " لا تقلق يا عزيزي فنحن لازلنا في الخارج نتجمد برداً فكما ترى لم يفتح لنا أحد هل أنت مطمئن الآن "
- " بما أن باب القصر مغلق ولم نجد ما يدفئنا؛ فلنذهب من هنا ربما نجد سيارة ما على الطريق تقلنا "

كان كلام إليزا بمثابة رجاء لهم

ليرد عليها ماركو

- " هل تعتقدين أننا سنجد سيارة في هذا الطقس السيء! صدقيني لم تصنع بعد السيارة التي بإمكانها النجاة من مثل هذا الطقس.. كفي عن التدلل أيتها الصغيرة "

بدى في أعين سيمون الغضب على غير عادته الضاحكة

- " اصمت يا ماركو إنه خطأك من البداية فأنت من تسبب بعطل سيارتنا.. إننا عالقون هنا بسببك "

لتهدئه إليزا

- " اهدء يا أخى حتى نستطيع التفكير في حل "

حاول الجميع أن يهدءوا ليجمعوا شتات أنفسهم المبعثرة بين جبن ليو الذى زرع في قلوبهم الرهبة ليقعوا فريسة حماقات ماركو, وهذا المطر الذي لم يروا مثيل لغزارته من قبل, والبرق الذي يهدد حياة من يقع

تحت وطأته وأخيراً تلك الصخرة. حسناً أنتهى وقت الضحك ليبادله وقت التجمد من البرد.

ابتعد ماركو ليدخن سيجاراً محاولاً إشعال الولاعة التي تطفئها الرياح كلما حاول إشعالها, حتى سمع صوت صرير لباب يفتح, فتقدم خطوات آخرى حتى وصل أمام باب القصر ليجد مصدر الصرير المزعج

- " أنظروا يا رفاق "
- " ماذا هناك يا ماركو هل هي أحدي سخافاتك الآن "

قالها ليو باستهزاء بينما ينفخ في كفيه لتدفئتهما

- " لا أمزح أنظروا "

استجاب الرفاق وذهبوا إليه بخطوات ثقيلة كادت ألا تتحرك من التجمد

- " لقد فتح باب القصر! "

قالها سيمون بفرحة بينما يضم أخته تحت ذراعيه,

على عكس ليو الذي انتابه الخوف أكثر

- " إن هذا غريب من فتح الباب! وماذا عن المكتوب على الصخرة "

إذا أردتم أن تعرفوا الغريب في أن يفتح الباب من تلقاء نفسه سوف أخبركم بأنه باب حديدي ضخم جداً من المستحيل أن يفتح بتلك السهولة

بدأ الخوف يدخل قلب الأصدقاء لولا أن شجعهم ماركو مرة آخرى:

- " كفاك سخافة يا ليو لابد أن أصحاب المنزل استيقظوا بسبب الضجة التي حدثت, أما تلك الجمل الحمقاء لابد أنهم كتبوها لإبعاد الأطفال عن الحديقة أنا لن أنتظر أكثر من ذلك فقد فسدت ملابسنا جميعاً ونكاد نموت تجمداً من البرد، هيا بنا يا أصدقاء "

تشجع الأصدقاء مرة أخرى لدخول المنزل فاقتربوا من الباب ليروا أصحاب المنزل, فلابد وأنهم فتحوا الباب ينظرون من خلفه, ولكن لم يكن هناك أحد خلفه
أندهش الجميع
- " إذن كيف فتح الباب إن لم يكن هناك أحد!
جاء سؤال إليزا يدب الرهبة في قلوبهم

فرد ماركو وقد بانت عليه علامات التوتر:
- " بالطبع هناك تفسير قد يكون ذلك سببه الرياح فكما ترون الرياح عاصفة كما لو كانت ستحطم جبلاً "
فقاطعه ليو هذه المرة ولكن بشكل حاد:
- " ماركو إنني غير مطمئن لهذا المنزل "
مرة أخرى يسخر ماركو من ليو بطريقة تستفز ليو:
- " كفاك جبناً يا فتاتي الصغيرة هل أنتِ في الخامسة وتخافين من أن يخرج لكي البعبع "

استشاط ليو غضباً ولكنه أمسك نفسه فتابع ماركو:

- " قد يكون مجرد منزل مهجور إن أردت إبق أنت في الخارج مع البوم والصقيع ونحن هيا يا أصدقائي سوف ندخل "

دخل ماركو وحده أولاً إلى الداخل لكي يتفحص المكان, فنادى أن كان أحد بالمنزل قائلاً:

- " هل من أحد هنا "

فلم يجد رداً سوى من أركان المنزل وكان الرد هنا هنا هنا أنه صدى صوت ماركو فخرج لهم ماركو مرة أخرى قائلاً بفخر:

- " كما قلت لكم من قبل، إنه منزل مهجور"
- " لا، حسب نظرياتي وحساباتي واتجاه الرياح ودرجة حرارة الجو فأنا أقول أن هذا المنزل مهجور"

كانت تلك الجملة الساخرة من سيمون ليهدأ الجو قليلاً

ضحكت جوليا قائلة:

- " يالك من خارق الذكاء أتيت بما لا نستطيع أن نتوقعه
- " إنني لازلت غير مطمئن لهذا المنزل الخاوي، إن رائحة الشؤم تقبع في جدرانه البالية "

بالطبع لا تحتاجون أن أقول لكم أن تلك الجملة كانت من ليو.

وهنا اشتد الشجار مرة أخرى, فصاح ماركو قائلاً:

- " كفاك نواحاً نحن سوف ندخل إذا أردت أن تبقى فلتبقى"

فض هذا الشجار أصغر الأصدقاء إليزا فقالت حانقة:

- " دعكم من هذا إنه ليس الوقت المناسب لهذا الهراء إن العاصفة تشتد لن نستطيع البقاء في الخارج الآن وهذا المنزل مأوى لنا يا سيمون فلندخل المنزل قبل أن نتجمد من البرد وأنا أول من سيدخل "

جاءت كلمات إليزا تشجيعاً للجميع وكانت نظرات السخرية متسلطة نحو ليو وكانت جوليا في أشد غيظها فأبعدت يدها عنه و أنبته قائلة:

- " ليو يا لك من جبان أحرجتني أمام أصدقائنا فلتكف عن هذا الآن أنا لن أظل هنا, سوف ادخل معهم "

شعر ليو وقتها بأنه جبان وأن ذلك القصر مجرد قصر مهجور, ولا يستحق كل ذلك العناد, فقرر أن يدخل القصر, ولكن قبل أن يدخل تذكر الصخرة مرة أخرى بعد أن غسلتها الأمطار المتساقطة من فتحات الأخشاب العلوية, وبدأت الجملة الأخيرة تظهر قليلاً فكانت تلك الجملة

" ظلام قلبك من سيقتلك, فقط القلب الصافي يستحق... أن يقرر مصيرنا"

- " هل ستدخل أم تريد التحدث قليلاً مع الغربان "

ليقطع تفكيره ويرجعه إلى الواقع, ماركو ساخراً منه. فدخل وأغلق ماركو الباب.

[1]

لحسن حظ الأصدقاء أن تلك الليلة كانت ليلة اكتمال القمر و كان سقف القصر به جزء من الزجاج فكان القمر سبب إضاءه المنزل
لا أظن أن منظر القصر من الخارج يوحي أن ما بالداخل جنة, فكان مثل الخارج جدران بالية تملؤها الشقوق عاكسة الزمن الذي مر عليها فتبعث من منظرها الرهبة والفزع. القصركان كبيراً جداً تكاد تتيه فيه, مكون من طابقين: الطابق السفلي كان به العديد من الكراسي والبراويز المعلقة على الحوائط المتربة وبعض الصور المعلقة تخفي ملامحها الأتربة, ويميز ذلك الطابق ساعة كبيرة والغريب أنها غير تالفة وتصدر صوت تك تك تك؛ ذلك الصوت لم يكن مصدر للطمأنينة, بل كان مزعجاً, والطابق الثاني في الأغلب كان به غرف المعيشة وغرف النوم فلم يصعدوا إليه و اكتفوا أن يظلوا بالطابق السفلي مجتمعين بعد أن بحثوا كثيراً في أرجاء القصر وتيقنوا أنه خالي.

- " هل من أحد هنا, ياله من قصر أتساءل عن قصته "

كانت تلك كلمات ماركو أثناء بحثهم عن سكان القصر, فقاطعه ليو بنبرة الخوف المعتادة الظاهرة عليه قائلاً:

- " لا نريد أن نعرف قصته كل ما نريده أن نظل هنا حتى ينتهي المطر ثم نرحل "

كان ذلك اليوم حافلاً بالمجهود سواء في حفلة عيد الميلاد أو في ركضهم للإحتماء من المطر فقد أرهقوا جميعا.

فقال سيمون بعد أن نظف أحد الكراسي الموجودة بالقصر وجلس عليه ليستريح من عناء هذا اليوم:

- " يالـه مـن يـوم إننـي متعـب جـداً ولا أعتقـد أن السـماء سوف تكف قريباً, تمنيت لو كان يوجد مدفأه, لكن لابأس إنه أفضل من الصقيع في الخارج "
- " لا أنـا لـن أتحـرك مـن هنـا حتـى تكـف عـن المطـر، لا أريد أن تتسخ ملابسي الجديدة أكثر من ذلك "

كانت تلك أخته الصغرى إليزا التي بدا عليها آثار التعب والنعاس, من الواضح أنهم ليسوا فقط من يشعرون بالتعب فقد شاركتهم جوليا الرأي:

- " إننا متعبين جداً ولا أظن أنها سوف تكف قريباً, من الواضح أننا سنضطر للنوم هنا قليلاً حتى تتوقف عن المطر"

سمع ليو تلك الكلمات, ووقعت على قلبه كالصاعقة, وظل يدق بقوة فكيف ينامون في مكان كهذا لا يعلمون عنه شيء وكانت الكلمات المكتوبة على الصخرة لا تفارق عقل ليو وما المقصود ب " ظلام قلبك من سيقتلك, فقط القلب الصافي يستحق... أن يقرر مصيرنا "

وماهو الكلام المحذوف بفعل الزمن! فما كان منه إلا أن قال لجوليا وهو يبتلع ريقه:

- " حبيبتي لا نستطيع النوم هنا، إننا لا نعلم أين نحن "
- " ماذا هناك يا صغيري ليو أنت لازلت خائفاً "

كلمات ساخرة من ماركو تابعها غضب جوليا قائلة:

- " لقد سئمت من جبنك يا ليو سوف أخلد إلى النوم, إذا كنت تريد أن تغادر فلتغادر"

وتابعت مخاطبة باقي أصدقائها:

- " هل ستخلدون إلى النوم يا شباب حتى تكف السماء عن المطر؟ "

كانت إجابة الجميع بنعم, فقد كانوا متعبين كثيراً.

أخذ سيمون إليزا بعد أن نظف لها مكان النوم وكان من عادته أن يمازحها دائماً, فقد كان يحبها كثيراً فقال لها مداعباً:

- " إن اليوم كان حافلاً بالنساء الحسناوات "

فقامت بلكزه بيدها اليمنى على صدره فقد كانت شديدة الغيرة عليه وصاحت به:

- " ماذا تقصد أيها الأحمق "
- " لا أقصد شيء يا مجنونة "

وتابع بنبرته الساخرة قائلاً:

- " أحيانا أمقت والداي لأنهما أنجباك أيتها القصيرة "
- " ماذا.. ألهذه الدرجة تكرهني يا سيمون"

قالت إليزا تلك الكلمات بنبرة حزن وكادت تسقط قطرات دموعها فأمسك سيمون يدها وقبلها ثم احتضنها مداعباً:

- " بالطبع لا إنني أمقتهم لأنك إن لم تكوني أختي لكنا الآن نتشاجر على أي اسم سنختاره لأطفالنا "

ثم أمسك وجهها ورفعه لكي ينظر إلى عينيها وهو مبتسم متابعاً:

- " ولكن لسوء الحظ لن اتزوج أبداً, فقد عاهدت نفسي أن أتزوج أكثر الإناث جمالاً و رقة وللأسف فقد أنجبها والداي, لذلك فقد وهبت نفسي لسعادتها فقط "

فابتسمت إليزا ابتسامة بريئة بعد أن قبل سيمون رأسها وقالت مازحة:

- " ولكن أنا لست مثلك فأنا سوف يأتي لي الفارس بالحصان الأبيض وسوف نعيش سوياً حياة جميلة "
- " إنني أحسده وأشفق عليه... أحسده على أنه مع أرق النساء في الدنيا وأشفق عليه لأنها أكثرهن جناناً أيضاً "

وتابع بعد أن ضحك ساخراً ولكزته إليزا و فتح يده و كأنه يمسك ورقة وقلم وسأل إليزا:

- " هاا يا سيدتي الصغيرة قُصّي عليَّ مواصفات فارس الأحلام هذا لأجول أركان العالم وأجلبه لصغيرتي "

ضحكت إليزا وحكت رأسها وهي تفكر, ثم نامت على ظهرها ونظرت من زجاج السقف على القمر وأخرجت زفيراً رقيقاً قائلة:

- " أريده طويل القامة مثلك تماماً فأنا أعشق عندما تحتضنني وأنا خائفة وأجد أذني على قلبك واستمع إلى دقاته المطمئنة التي تقول لي لا تقلقي عزيزتي أنا هنا،

وأريده أيضا أن يكون وسيماً تماماً مثلك, ويكون جيداً في الطبخ فأنا لن أفسد يداي الناعمتين وطلاء أظافري بالطبخ, بالإضافة إلى أنني أحب الأكل كثيراً و أريده أن يعاملني كزوجته وابنته وأخته

ثم تنهدت وابتسمت قائلة:

- " أريد أن أكون أنا حياته فقط, أنا أريده مثلك تماماً يا سيمون... أن يحبني مثلما تحبني أنت, لكن لاقول لك سراً لا أعتقد أننى سأجده يحبني أبداً "
- " ما الذي تقوليه أيتها المجنونة , من الذي لا يحب ملاكاً مثلك "

أطرقت إليزا رأسها وقالت في حزن:

- " تقول ذلك فقط لأنك تحبنى "

أمسك سيمون يدها برهة ثم قبلها قائلاً:

- " نعم فمن يحب يرى من يحبه ملاك دون البشر, فيتنفس الحياة من خلال النظر في عينيه فقط "
- " لكنك تحبنى لأنك أخي, يجرى في عروقنا نفس الدماء التي تحمل جينات الحب الموروثة من والدينا. فأحببتني بحكم فطرتك, لهذا لا أؤمن بالحب بين الأغراب "
- " أليس القلب هو الذي يضخ الدماء في عروقنا, فإن امتلكتِ قلب أحد ما ستسيرين في عروقه كما لو كنتي شريان الحياة فتصبحين هو ويصبح أنت "
- " تتحدث كما لو كان هناك مفتاح للقلب لنمتلكه! "
- " بالطبع يوجد فأرواحنا تعرف الطريق جيداً إلى القلوب فلا تقلقي, ستجد روحك طريقها يوماً ما "
- " أخشى أن تتوه روحي في طريق خطأ! "

بدأ سيمون بالتثائب ولسانه بدأ يثقل متابعاً:

- " سيرشدها عقلك إلى طريقها "
- " ظننتك ستقول قلبي! "

تثائب سيمون مرة أخرى وتلك المرة كأنه كان يخرج الكلام رغماً عنه من شدة الإرهاق:

- " يوماً ما عندما تكبرين ستدركين أن عقلك هو ولي أمر قلبك, ولتحذري وقتها من شيطانك، فسوف تشتتين بعض الأوقات بينه وبينك "
- " ومتى سأكبر يا سيمون؟.. سيمون.. سيمون "

وفجأه يقاطع تأملات إليزا بالقمر صوت مزعج خارج من سيمون, ذلك الصوت كانت تألفه وكثيراً ما كانت تسمعه عندما يكون متعب ونائم, إنه صوت شخير سيمون فابتسمت إليزا وقبلت رأس أخيها وقالت له في أذنه أنا أحبك يا أخي ثم نامت بجواره.

كان الهدوء يسود أرجاء المنزل, ولكن خارج المنزل كان المطر والرعد والبرق بالإضافة إلى المنزل المهجور والجُمل على الصخرة كل ذلك جعل ليو غير قادر على النوم, فقد وقف أمام إحدى نافذات القصر ينظر إلى المطر وكأنه يترجاه أن يتوقف حتى يستطيع الخروج من المنزل, ووسط ذلك الهدوء من ليو إذ بصوت يرعد جوانبه, كان الصوت هذا هو مناداة هادئة بإسمه فقد أحس أن هناك أحد ما ينادي عليه فدب الخوف في قلبه ونظر خلفه ليجد أصدقائه نائمين ففكر أن خوفه من المنزل قد يهيئ له بعض الهلاوس فعاد مرة أخرى للنظر للنافذة إلا أن تلك المرة شعر بأن أحد يقترب من خلفه, فتجمدت أطرافه ولم يعد قادراً على الحركة أو حتى الصراخ وهو يشعر بخطوات ذلك الشيء الذي يقترب منه أكثر فأكثر, حتى توقف بالقرب منه جداً, فشعر بحرارة جسده فأغمض ليو عينيه رعباً ينتظر أن يكون وليمة لشبح ما أو يقتل. فاقترب ذلك الشيء واقتربت أنفاسه من أذنه وفاجأه بكلمة عوووو, فوقع ليو من الرعب وكاد أن يصرخ لولا أن رأى أمامه ماركو وقد تعالت ضحكاته سخريةً من ليو الذي فزع من ذلك المقلب وسخر ماركو منه قائلاً:

- " يالك من جبان مقلب سخيف كهذا قد يقتلك، أنا لا ادري على أي شيء تحبك جوليا "

وقف ليو غاضباً وأحمر وجهه وصاح بماركو:

- " ما هذه السخافة.. و سبق وقلت لك لا شأن لك بحبيبتي جوليا "
- " إنك لا تستحقها, هي تستحق شخص شجاع مثلي, ليس شخص يخاف من ظله "

ضحك ليو ضحكة سخرية من ماركو قائلاً:

- " لـذلك يـا عزيـزي عنـدما قارنـت بيننـا اختـارتني أنـا وتركتك أنت "

جوليا هل تسمحين لي بهذه الرقصة؟

كان ذلك طلب ماركو من جوليا عندما كانت تجلس مع ليو في حفلة عيد الميلاد, فوافقته وذهبا ليرقصا سوياً وليو يستشاط غيظاً وهو ينظر إليهم و كـان مـاركو يقتـرب منهـا كثيـراً ويضـحكها و ينظـر إلـى ليـو ويبسـتم وكأنه يقول أنها تحبني أنا ولا تريدك و ما زاد الطين بلـه حينمـا تطـاول ماركو وقبَّل جوليا. وأنـتم تعرفون طبـع الرجـال لايتحملون كثيـراً, فقـام ليو سريعاً وسحب جوليا من يد مـاركو ودفعـه بعيداً وخـرج بهـا خـارج الحفلة فتبعهم ماركو إلى الخارج بغيظ قائلاً:

- " ما هذه الحماقة التي فعلتها يا ليو.. كيف تجرؤ "
- " إن كانت سمحت لك بالرقص معهـا فذلك لا يسمح لـك أن تقتـرب منـها هكذا وتقبلـها "

ثم تابع موجهاً كلامه إلى جوليا:

- " وأنتي كيف تتركينه يفعل ذلك "

فقاطعه ماركو بغضب:

- " وما شأنك أنت بذلك أفعل ما يحلو لي هل كنت ولي أمرنا "

ثم نظر لجوليا وقال بثقة:

- " إن جوليا لا تحبك إنها تحبني أنا وتستطيع أن تسألها "
- " أهذا صحيح.... جوليا عليك أن تختاري إما أنا أو هو"

صدر ذلك السؤال من ليو وهو ساخط على ماركو ويقف بينهما منتظر إجابة جوليا التي كانت في موقف صعب ولكن ما كان منها إلا أن إحتضنت ليو قائلة:

- " أنا أسفة يا ماركو، بالطبع اختارك أنت يا ليو فأنت تعلم كم أحبك يا عزيزي "

" ماذا هناك يا عزيزي ماركو هل يذكرك ذلك بشيء يحزنك "

سخر ليو من ماركو وبدأت على وجه ماركو علامات اللامبالاة قائلاً:

- " لم تكن جوليا التحدي الذي أخسره يا عزيزي أنها لم تكن تهمني, إنني فقط أردت أن أسخر منك "
- " يالك من أحمق، تظن نفسك تمتلك كل شيء "

قاطعه ماركو ساخراً:

- " اخفض صوتك فأصدقائنا نائمين.. وأنا أيضا سوف أنام... فلتبقى أنت وحدك خائفاً "

رجع ماركو لكي ينام, وظل ليو قليلاً يفكر في سخرية ماركو ومازال واقفاً أمام الزجاج يتمنى أن تتوقف عن المطر حتى يوقظهم ليغادروا ولا يفارق ذهنه الكلام المحفور على الصخرة ولكن الإرهاق والتعب قد غلبه بالرغم من خوفه ,فقرر أن يغفو قليلاً حتى تتوقف عن المطر.
أعتقد لو أنني في طريق وتعطلت سيارتي ووجدت حولي ذئاب وضباع وجميع الحيوانات المفترسة و لم أجد أمامي سوى ذلك القصر لأحتمي به أقسم أنني لن أدخله إذا رأيت ما ظهر الآن فأنا أفضل الموت صرعاً عند الساعة الثانية عشر مساءً.....

[2]

الساعة 5:30 مساءً

غرفة زهرية اللون مرسوم على حوائطها بعض الرسومات الخاصة بالأطفال التي تمتزج مع أشعة غروب الشمس الصادرة من الشرفة الموجودة بها والتي تعكس منظر لغروب الشمس فتضفي إلى الغرفة نوع من الدفء والراحة، بها سريران صغيران و يوجد بها ألعاب أطفال وعرائس صغيرة لا تخلو من صوت الضحك والمرح والألعاب من الواضح أنها غرفة لطفلين, ومن التناقض بين الألعاب يتضح أنها غرفة لطفل وطفلة, أنهما أخوان كانا قد أنتهيا من أداء الواجبات المدرسية الخاصة بهما و بدءا يلعبان سوياً عندما تراهم يلعبان يعطونك الشعور بالطفولة البريئة وتود لو تستطيع أن تلعب معهما. أرهق الطفلان من اللعب, فجلسا ليستريحا قليلاً وبدءا يختاران ما بين الألعاب, فقالت الطفلة:

- " ما رأيك أن نلعب الغميضة "

فرد عليها أخوها رافضاً:

- " لا تلك اللعبة مملة, ما الفائدة من أن أختبئ كل مرة وأبقى جالساً وأنتي تبحثين عني ولا تجديني "

فكرت الطفلة قليلاً في كلام أخيها, فهي فعلاً لا تستطيع أن تجده لأنه كان بارعاً وذكي بتلك اللعبة كغيرها من الألعاب, فحكت رأسها سائلة:

- " إذن، ماذا تقترح أنت أن نلعب "

رد عليها متحمساً:

- " مارأيك بلعبة الشرطي واللص "
- " ولكن أنا سأكون الشرطي "

قاطعها أخوها مسرعاً:

- " بالطبع لا أنا سأكون الشرطي النساء لا تصلح للتلك الأدوار, فإذا تأسف لها اللص وبكى قليلاً سوف تتركه يرحل دون عقاب. أنا سأكون الشرطي "
- " إذن لن ألعب تلك اللعبة "

قالتها الطفلة وهي مستاءة من رد أخوها وسخريته منها.

جلسا الاثنان يفكران في أي شيء قد يفعلانه, فأنتم تعرفون جيداً الأطفال لا يمتلكون الكثير من الطاقة التي يجب أن تفرغ في مكانها الصحيح.
إستمر هذا الحال إلى بعض الدقائق حتى فرقعت الطفلة بأصابعها مبينة أنها وجدت اللعبة المناسبة قائلة:

- " ما رأيك يا أخي أن نذهب إلى عمنا ليحكي لنا قصة من قصصه التي يكتبها "

تلك القصص المملة غير المتقنة, أفضل الملل على تلك القصص الحمقاء, لا أظنه جيداً في كتابة القصص,

قالها الطفل ساخراً من عمه وضحك بعض الضحكات التي أغضبت الطفلة كثيراً فهي كانت تحب عمها وتحب أن تسمع قصصه فقالت غاضبة:

- " إذا تحدثت مرة أخرى هكذا على عمنا سوف أخبر والدتي لتعاقبك "

حاول الطفل إصلاح الموقف مسرعاً مدافعاً عن نفسه وهو مرتبك قائلاً:

- " إنني أمزح فقط لا تخبري والدتى، فقصص عمنا رائعة وأنا أحبها للغاية "

طبقت الطفلة يديها على صدرها وهي ناظرة إلى أخيها نظرات ثاقبة وقالت له بلهجة التهديد:

- " إذن ذلك يعني أنك سوف تأتي معي لنستمع إلى إحدى قصصه أليس كذلك "

ضحك الطفل محاولاً إخفاء غضبه من تهديدها قائلاً لنفسه أنه ما باليد حيلة سوف يضطر إلى الاستماع إلى عمه الثرثار فنظر إلى أخته وهز رأسه دليلاً على الموافقة, وأنطلقا الاثنان إلى غرفة عمهما

حالة من السكون تجتاح القصر يقاطعه صوت المطر والبرق وصوت آخر تك تك تك تك, نعم بالطبع فهو صوت ساعة الحائط, كان الوقت حينها يقارب الثانية عشر مساءً وعقارب الساعة تتابع دورانها حتى دقت الساعة الثانية عشر تن تن تن تن

الحوائط تتحرك عندما تنظر إلى تلك الحوائط, وقتها تظن أن دقات الساعة أثارت غضبها وكانها تتحرك مع نهاية دقات الساعة حيث توقفت العقارب عن العمل، فخرج من الحوائط

شيء يصعب وصفه, إنها ثلاثة أجسام تقف بعيداً عن دائرة الضوء التي كونها القمر, وينام بداخلها الأصدقاء كل ما أستطيع أن أصفه أنهم يمتكلون الشكل الخارجي للبشر ولكن بدون ملامح، ثلاثة أجسام داكنة السواد, عندما تنظر إلى أعينهم تجدها ممسوحة مليئة بالسواد فقط تحاط بهم هالة متوهجة من الظلام, هل التفكير الذي طرأ برأسي خاطيء؟
أم أنكم تشاركوني نفس التفكير.....؟
يا إلهي إنهم ظلال خرجت من الحوائط تكاد تقتل الأصدقاء بالنظر إليهم بهذه الأعين المرعبة, بدو في بادئ الأمر أنهم ساكنون ولكنهم بدأوا يحومون حول الأصدقاء, لو أن أحد منهم استيقظ الآن ورأى ذلك المنظر المرعب لتوقف قلبه خوفاً أنهم يدورون حول الأصدقاء بسرعة رهيبة, هذا لا يصدق, إنهم يتحركون كلمح البصر وينظرون إليهم وأعينهم مليئة بالشر كأنهم يستعدون لقتلهم ولكنهم ينتظرون الأمر لفعل ذلك

في تلك الأحيان ظهر ظل آخر يبدو عليه الغضب الشديد عندما ظهر توقفت الظلال الأخرى عن الدوران، وانحنت له, من الواضح أنه كبيرهم, ظل يحدق بالنائمين, ولكن لم يبق صامت كثيراً فقد صرخ صرخة مدوية حتى خافت الطيور وسمع صوتها تطير بعيداً عن المنزل.
" لاا اتركني فأنا لم أفعل شئ أرجوك لا تؤذي أصدقائي "

قالها ليو في فزع شديد وهو يحاول حماية أصدقائه من ذلك الشيء

- " لقد تجرأت على دخول القصر لابد أن أقتلك "
- " كان هناك مطر, وكنا نريد أن نحتمي به أرجوك اعف عنا "
- " لا أناا أسوأ كوابيسك "

واقترب منه ذلك الشيء ليقتله

فستيقظ ليو فزعا والتفت حوله فوجد الجميع نائم فأخرج زفيراً كأنه نجا من الموت فلم يجد إلا أن يوقظ جوليا:

- " جوليـا.. جوليـا.. عزيزتـي استيقظي أريـد أن أحـدثك قليلاً "

فتحت جوليا عينيها بصعوبة وردت عليه بنعاس:

ماذا تريد يا ليو اتركني أنام

إنني لا أستطيع النوم هناك شيء مريب في ذلك المنزل

فاعتدلت جوليا ف جلستها وبدا عليها الحزن قائلة:

- " إلى متي سوف تظل بهذا الجبان يا ليو "

وضعت يدها على وجنتيه ونظرت إليه وتابعت:

- " إنك تعلم أنني أحبك وأكون مطمئنه وأنت بجانبي "

ابعدت يدها ونظرت بعيداً عنه وقالت بحزن:

- " فكيف أكون مطمأنه وأنت جبان أتتذكر حين قلت لي أنك سوف تحميني من أي شيء "

****

في حفل عيد الميلاد جوليا كانت تقف بالخارج وتنظر للسماء فدخل عليها ليو:

- "هل لي أن أحسد القمر لصحبتك معه! "

فزعت جوليا لأن ليو فاجأها, فصرخت بدلال:

- " أفزعتني يا ليو "

ثم نظرت لإكتمال القمر وقالت:

- " أنظر إلى القمر رغم شقوقه كيف يزين السماء الصافية رغم أنه معتم يعكس النور على الأرض و يشعرنا بالدفء والطمأنينة رغم وحدته. من هذا الذي لا يحب القمر حتى النجوم بالتفافها كأنها تحتضنه رغم بعده عنها "

نظر ليو إلى عيني جوليا مدابعاً:

- " إنه مثلك يا جوليا حين تبتسمين تملئين الأرض فرحة, ومن لا يحب جوليا "
- " لا شأن لي بأحد ماذا عنك أنت؟ "
- " ومن أكون أنا لأستطيع الصمود أمام تفاصيلك التي إخترقت أسوار قلبي لتعلنه أسيراً لعينيك "
- ليو.. أنا أحبك

ظهرت آثار التعجب الممزوجة بالصدمة في أعين ليو بعد إعتراف جوليا له أنها تحبه, فعلى عكس الكثير من الشباب الذين يتمنون أن ينالوا

رضاها, كان ليو معجب بجمال جوليا وبنظرات عينيها الجريئة, فلا يستطيع أن ينكر دقات قلبه عندما تتحدث إليه بكلماتها الساحرة التي تجعل منه ملكاً متوجاً في عينيها, فمن الذي يرفض أن يكون ملكاً! ولكن لم يكن متأكداً بعد، هل هذا هو الحب الذي يستطيع أن يكتفي به إلى الأبد ويشاركها حياته بتفاصيلها الحلوة والمرة أم إعجاب بعرش توجته فيه الفتاة الأكثر شعبية وجمالاً, فما كان منه إلا أن ابتسم قائلاً:

" ومن لا يحب جوليا "

بدت علامات الإستياء على وجه جوليا فقد كانت تسعى جاهدة في إيقاع ليو بحبها لأن تمسك العصا من منتصفها, عندما سمعت صوت الألعاب النارية فزعت منها خوفاً واحتضنت ليو بدلال, فضحك منها قائلاً:

- " لا أريدك أن تخافي من شيء طالما أنا بجوارك فأنا سوف أحميك دائماً "

أمسك ليو يد جوليا وجلب رأسها على كتفه وقال:

- " اطمأني يا حبيبتي أنا لست جباناً, أنا فقط غير مطمئن.

نظر ليو إلى أركان المنزل ملياً, وهمس إلى جوليا:

- " إننا لا نعرف قصة هذا القصر أنا أشعر أن شيء ما يحوم به, ويتربص لنا أشعر أنهم معنا الآن "
- " أخلد إلى النوم يا حبيبي إنه مجرد منزل حينما يكف المطر سوف نرحل وسوف تجد أنك كنت مبالغ في ذلك الأمر"

- نعم يا عزيزتي أنتي محقة سوف أنام.

قبل ليو جوليا ثم نظر ملياً إلى القصر, و أقنع نفسه أنه لا شيء ثم نام.

لا اعتقد يا صديقي ليو أنك سوف تجد أحلاماً سعيدة.. ولكن ما أشك به أنها تكون أحلاماً أخشى أن تكون كوابيس الواقع.

[3]

بدأت تلك الأجسام تتوهج, وبدأت أسمع بعض الكلمات غير المفهومة كأنها تعويذات وازدادت تلك الأجسام توهجاً, وكل ذلك وأنا لا أقوى على الحركة فقد خانتني قدرتي من هول المنظر, بدأت تعلو الأصوات والتوهج إلى أن توقف كل شيء فجأه واختفى كل ذلك. بدأ قلبي يهدأ قليلاً وأحاول أن أستوعب ما حدث, فكرت أنني كنت أحلم, حاولت أن أفرك عيني لأتأكد, اغمضت عيني وفتحتها, ولكنني قد وجدت أن الشموع قد أنطفأت.

لا أستطيع أن أرى شيئا ومازال جسدي غير قادر على الحركة أو حتى الصراخ, بدأت أرى نور منبعث من الحائط كأنه مصباح صغير يضيء ثم يطفيء, ولكن هناك أمر غريب لا اعتقد أن الشموع أنطفأت إلا هي... إنني لست بالغرفة.

بعد أن ذهب ليو في النوم مرة أخرى كان هناك من يتابعهم, نعم إنها

إحدى الظلال تراقبهم من بعيد وعيناها مليئة بالشر, تقف ثابتة كأنها تنتظر اللحظة التي سوف تنقض على الأصدقاء, وظهر من خلفه أحد

الظلال الآخرى, وقاطعت ذلك الصمت هامسة:

- " ماذا سوف تفعل "

لم يلتفت الظل الآخر, ولكنه صمت قليلاً مفكراً في أمر ما, وقطع ذلك الصمت برد قاطع:

- " كغيرهم من البشر الحمقى "

وضعت يدها على كتفه محاولة تهدأته قائلة:

- " لا عليك يا عزيزي, لا تحمل نفسك كل ذلك العناء,

التفت الظل الآخر هذه المرة وقال بنبرة غاضبة:

- " لا مجال للشفقة, إنه مصيرهم حان وقت الإنتقام من الذين تجرأوا على اقتحام منزلي "

واختفى الظلان كأنهما لم يكونا موجودين, وظهر فجأة في لمح البصر الظلال الثلاثة بعد أن اختفوا عندما استيقظ ليو, ولكن هذه المرة لم يبق الظلال فى الظلام, بل دخلوا دائرة ضوء القمر.

وكأن ضوء القمر غسلهم ومحى من عليهم ذلك الظلام الذي كان عليهم, فظهر أنهم فتيان وفتاة يرتدون ملابس سوداء فقد زال الظلام من عليهم,

وبـدأت تظهـر ملامحهـم, واختفـى السـواد مـن أعيـنهم, وبـدت طبيعيـة كالبشر إن هؤلاء الثلاثة هم أبناء الدون اليخندرو مالك القصر.

أحدهم اسمه " جيكاب " يبدو عليه صـغر السن, فـإذا كـان عمر الظـلال يحسب كعمر البشر كنت أعطيه ثمـان عشرة سنة, شـعره أسود اللـون وأكرت غير ناعم، وجهه دائري وجسمه بدين ومعتدل القامة غير طويل ولا قصير, عنده صعوبة في الكلام بمعنى أنه يتعثر في الحديث، واضح بهذا الوصف أنه يبدو كالبشر تماماً.

أخوه الأكبر يدعى " إيمت " هو الابن الأوسط في أخوتـه ويبـدو عليـه أيضا صغر السن وملامح الوسامة، شعره قصير وله أنف كبيرة ويدان متعرقتان, طويل القامـة ورفيـع كـأعواد القصـب, ويمتلك صـوت رفيـع, وتعابير وجهه تثير الضحك بداخلك.

أمـا الفتـاة فهـي أكبـرهم تـدعى " مارجريتـا ", قد يكـون عمرهـا مقـارب لعمر الأصدقاء لو أخبرتكم أن هذه هي التـي كانـت ترعبنـا منذ قليل لـن تصـدقوني, فتـاة جميلـة جـداً معتدلـة القـوام, تمتلـك شـعر ذهبـي اللـون ووجنتان حمـراوان، عيناهـا العسليتان علـى قدر مـا بهمـا مـن جمـال إلا أنهما حزينتان، وعلى الرغم من ذلك الجمـال إلا أنكـم يمكـنكم أن تـرون بوضوح الحزن القابع على وجهها.

لكي لا نخدع بالمظاهر, فهؤلاء الثلاثة لن يتركوا الأصدقاء يرحلون سالمين, فقد بدا على وجههم الغضب الشديد, واقتربوا من الأصدقاء ينظرون إليهم ويتفحصوهم, حينما اقترب جيكاب منهم نادى أخاه قائلاً:

- " الحق ياض يا إيمت بونى أدمين بقالنا كتير مشفناش بوني أدمين في
- بيتنا "
- " لا ونايمين وعاطيين الجنب راحته كمان يا حلاوه يا ولاد وبيشخروا كمان، دا إنتوا هتتشلوحوا "

اقترب إيمت من جيكاب وهمس له:

- " أبوك الحج لما يجي هيولعها نار فوق دماغهم "

فرح إيمت وظل يصفق قائلاً:

- " إشطا هنولع هنولع "
- " لولولولولولى عقبال عندك يا خويا وكان عندنا امبارح فضلة خيرك أربع بني ادمين عالفحم "
- " ألف مبروك يا خويا عقبال الثانوية "
- " يسمع من بوئك ياخويا "
- " اصمتوا أيها الحمقى, وكفوا عن هذه اللغة الغريبة, تعلمون كم كره
- والدنا للهجة تلك "

صاحت مارجريتا بإخوتها وقطعت وصلة الضحك بينهم, فكانت تفكر ماذا سوف يقرر والدهم بشأن هؤلاء البشر.

اقترب إيمت من جيكاب وهمس إليه:

- " ايه ياعم الولية دي هيا أختنا ولا جوز أبونا "
- " يا غبي مسم مسم مسمهااش جوز أبونا "
- " أمال "
- " اسمها مرات أمنا "
- " اااااه صح طب يا عم اتصرف معاها بدل ما تشتكي لأبونا "
- " سيبها عليا خلاص بئا عيب عليك "

اقترب جيكاب من مرجريتا قائلاً:

- " ما خلاص يا سطا بئا ايه الوش الخشب دا مش كفايا أبوك سخطنا وبقينا ظلاال وأنتي بقيتي ظلالاايياياه "

صرخت مارجريتا عليه حانقة:

- " أصمت و دعنا نرى من هؤلاء الحمقى في بيتنا أيها الغبي "

رجع جيكاب مرة أخرى لإيمت قائلاً:

- " قطعتهالك بص جبتهالك من شعرها كدا "
- " جدع ياض هو دا أخويا الصغير "

يقترب إيمت و جيكاب من ماركو ويقول إيمت ساخراً:

- " شايف ياض يا جيكاب نايم ازاى البني أدمين دول رغم قسوتهم وشرهم بس بيناموا تقولش ملايكه "

ثم ينظر جيكاب إلى إليزا:

- " ايه المزة دى.. مينفعش أبوك يحولهالنا ظلالالاا ظلالاا يخربيت دي كلمة ظلالالاييياياه "

فصدر من سيمون شخير مفاجيء أفزع الأخوين,عادا إلى الخلف واحتضنا بعضهما خوفاً, فقال جيكاب خجلاً:

- " بقولك إيه يا كبير "
- " قول ياسطا "
- " أنا بليت البنطلون "
- " طب اشطا يعني مش أنا لوحدي "

كانت مارجريتا غير متابعة لهذه الحماقات الناتجة من أخويها فقد كانت تتأمل وجوه هؤلاء الأصدقاء غاضبة فقد كانت كارهة للبشر كثيراً, فاستوقفها وجه ليو قائلة لنفسها, ياله من شخص أخذ الخوف من ملامحه

الراحة, فابتسمت ابتسامة ساخرة.. وقالت مستنكرة, الراحة! لن تشمون راحةً بعد الآن أيها الحمقى.

فى ذلك الحين ظهر ظل الدون إليخندرو, فانحنى أولاده إليه, سار الدون تجاه دائرة القمر مقترباً من الأصدقاء و مثله مثل أبنائه غسل القمر ظله لتظهر ملامحه.

لا أظن أن القمر قد غسل الدون إليخندرو جيداً, فقد ظل مرعباً أيضاً حتى بعد ظهور ملامحه كان طويل القامة عريض المنكبين، غليظ الصوت تحت عيناه حديقة من السواد وجهه عابس كأنه لم يبتسم منذ زمن بعيد يظهر على ملامحه الغضب الشديد.

صاح الدون ساخطاً على المتطفلين:

- " ستواجهون الآن قدركم الذي اخترتموه وما تستحقونه"

اقترب إيمت من والده مواسياً:

- " دول عالم واطية روق أنت بس يا حج ليطقلك عرق وأنت لسه صغير "

غضب الدون كثير فهو يكره هذه اللكنة، نظر إلى إيمت بغضب وصاح به قائلاً:

- " ماذا قلت أيها الأحمق "

ارتعش إيمت من الخوف وحاول أن يصحح كلامه سريعاً:

- " ايبي لقد قلت أنهم سفهاء والسفهاء خائنين والخائنين أبناء كلب يجب أن يتعوروا ويتعلم عليهم حتى يعلموا مدى بشاعة جراءتهم "

تجاهل إليخندرو حماقة إيمت, واستمر في التحديق بهم وتكلم بصوت مرتفع كأنه يكلم نفسه:

- " البشر دائماً, ذلك النوع من المخلوقات المتطفل. إننى أكره البشر... دائماً خداع وكذب وقتل بلا شفقة إنهم لا يستحقون الحياة, إنهم يشوهون معنى الحياة بحماقتهم حتى جعلوها بلا معنى, ثم يعترضون على القدر الذي وضع لهم هذا الطريق تحت شعار أنهم ليسوا ملائكة "

ثم نادى على أبنائه قائلاً:

- " تأكدوا أن جميع منافذ المنزل مغلقة, لن يخرج أحد من هنا "

وغادر الدون من المكان, وكعادة الأخوين الحمقاوين قال جيكاب فرحاً:

- " العالم دى كتبت نهايتها بأديها يا عيال "

رد عليه إيمت ضاحكاً:

- " أبوك الحج هينفخهم "

اقترب جيكاب من إيمت وسأله بهدوء:

- " ألا صحيح ياسطا بما أنك الكبير كنت عاوز أسأل في سؤال كدا "
- " خير عاوز كام "
- " يا عم اتنيل أنت لاقي تاكل دا احنا بنسرق أبوك سوا, كنت عاوز اسئل هو أبوك حج امته "

جاوبه إيمت بعد أن حك رأسه:

- " والنعمة ما أنا عارف باينه مات كافر باين... بس أهو راجل كبير وزي أبونا برده فبنقوله يا حج "

كانت مرجريتا تفكر كثيراً بكلام والدها, فقد كانت تعلم أنه على حق, فصاحت بأخويها حتى يكفا عن هذا الهراء:

- " والدي محق لا يستحق المخادعين أن يعيشون، لابد أن يموت هؤلاء المخادعون, حتى لا يكونوا سبب في معاناة أحد "

فهمس إيمت إلى أخيه:

- " بينها ليلة مش فايتة كدا يلا ياعم نقفل القصر "

خرج الأخوان من دائرة الضوء, وتحولوا إلى ظلال واختفوا في لمح البصر.

قالت مرجريتا لنفسها قبل أن تغادر؛ يا لكم من حمقى ارتكبتم أكبر خطأ في حياتكم, ودخلتم إلى الظلام وقبل أن تختفي شعرت بأحد يستيقظ كان ذلك ماركو.

[4]

اتجه الدون إلى أحد معارفه الذي كان يدين لـه بحياتـه فقد أنقذه فـي أحد المرات عندما كان يخدم بالجيش, ذلك الرجل كان معروفاً بعلمه الواسع فـي مجـال السـحر والتعويـذات، رجـل عـريض يرتـدي بذلـة راقيـة ولـه شـارب ثقيل ذلك كـان وصـفه عندما قابلـه الدون وقص عليـه مـا حدث لزوجته وأنه يريد أن ينقذها بأي شكل من الأشكال فكان رد ذلك الساحر مقنعاً:

- " سـوف أعطيـك الحمايـة والنجـاة لزوجتـك وأطفالـك وأيضاً.. حق الانتقام "

إرتفع حاجبي الدون وهو يفكر بمعنى كلامه وقال:

- " كيف؟ وماذا تقصد بحق الانتقام؟ "

إبتسم الرجل وتقدم للأمام واضعاً يده على المكتب الذي كان يجلس عليه قائلاً:

- " لا عليك بكيف إنها تخصني, أما عن حق الانتقام فهو لـك أنـت تسـتطيع أن تقتـل مـن فعلـوا بزوجتـك هكـذا، تستطيع أن تقتل هؤلاء البشر الحمقى, وكل من يقترب من منزلك "

أسرع الدون قائلاً:

- " ولكنني لا أريد القتل "
- " ومن قال لك أنك سوف تقتل بيدك "

استيقظ ماركو من نومه, فوجد الجميع نائمين والسماء مازالت تمطر, فقام بوكز كتف جوليا لإيقاظها هامساً:

- " جوليا... جوليا.... استيقظي "
- " ليو أتركني أريد أن أنام, كفاك جبناً "

تمتمت جوليا بتلك الكلامات بدون أن تفتح عينيها فرد ماركو:

- " أنا ماركو يا جوليا استيقظي أريد أن أتحدث إليك "

استيقظت جوليا سريعاً تنظر إلى ليو وحانقة من ماركو, قالت له هامسة بغضب:

- " ماركو أجننت, لا يمكن أن نتحدث الآن إذا استيقظ ليو, سوف يغضب كثيراً "
- " أنا لا أدري إلى متى سوف نظل هكذا جوليا "

قالها ماركو وقد ظهر على وجهه الحزن, فأمسكت جوليا يد ماركو ونظرت إليه هامسة:

- " حبيبي ماركو أنت تعلم أننى أحبك أنت ولا أحب ليو إنه أحمق جبان ولكنه غني "
- " جوليا لقد سئمت هذا الوضع إلى متى سوف تظلين بجانب هذا الغبي "

قالها ماركو وهوغاضب وضرب الأرض بقدمه, فاقتربت منه ونظرت إلى عينيه ووضعت يدها على وجهه وأخرجت زفيراً يلمس وجهه فتحول غضبه إلى ابتسامه, فهمست إليه:

- " الصبر يا عزيزي الصبر... عندما أجعل هذا الغبي يقع في حبي, سوف نستولي على كل أمواله ونعيش سوياً حياة مريحة سعداء نتمتع بأمواله "

أدار ماركو ظهره عن جوليا, وأخرج زفيراً حانقاً وقال:

- " لقد طفح الكيل من ذلك الأحمق لم أعد أحتمل أن أراك دائماً معه... أصاب أحياناً بالغيرة عليك.. لا أدري إلى متى سأحتمل. أريد أن أعرف إلى متى سوف يطول هذا الوضع "

اقتربت جوليا من ماركو واحتضنته من ظهره وطمأنته, قائلة:

- " قريباً ياعزيزي قريباً جداً.. ولكن ما يقلقني أنني مازلت لا أشعر أن ليو وقع في حبي أشعر أنه لازال متردد بشأني "

إلتف لها ماركو ساخراً وضحك مستنكراً:

- " لا أصدق جوليا جميلة الجميلات لا تستطيع إغواء هذا الأحمق الرضيع.. يبدو أنه آخر الزمان "

- " لا تقلق يا عزيزي، جوليا لا تعجز وإذا عجز جمالها عن القيام بالمهمة فهي تملك عقلاً يقوم بأي مهمة "

استغرب ماركو فهو لا يفهم من كلامها شيء فرفع حاجبيه سائلاً:

- " ماذا تقصدين "
- " أقصد أن هناك طريقة أخرى تجعله يحبني "
- " وما هي تلك الطريقة "

ضحكت جوليا ولفت ماركو إليها, وهمست له في أذنه:

- " نقطة ضعف كل رجل، الغيرة "

وتحركت بعض الخطوات وتابعت:

- " كل الرجال حمقى يا عزيزي, ويمتلكون ذلك المرض المسمى بالغيرة.. فإذا كان بيد أحدهم شيء يستطيع أن يمتلكه ولا يريده ورأى أن ذلك الشئ يريده أحد غيره سوف يريده هو ويتمسك به كثيراً.. كل ما سنفعله سنوهم ليو أنني سوف أضيع منه وأترك الباقي على ليو "

اقتربت جوليا من ماركو وابتسمت:

- " لذا أنا أريد مساعدتك "

ابتسم ماركو ضاحكاً بعد أن فهم قصد جوليا, وقال:

- " فهمتك يا عزيزتي إعتمدي عليَ في ذلك الأمر "

رأى ماركو ليو قادم من خلف الزجاج فاختبأ سريعاً، وبقيت جوليا تنظر إلى القمر فاقترب منها ليو

- "هل لي أن أحسد القمر لصحبتك معه! "

فزعت جوليا لأن ليو فاجأها فصرخت بدلال:

- " افزعتني يا ليو "

ثم نظرت لاكتمال القمر وقالت:

- "أنظر إلى القمر رغم شقوقه كيف يزين السماء الصافية رغم أنه معتم يعكس النور على الأرض و يشعرنا بالدفء والطمأنينة رغم وحدته.. من هذا الذي لا يحب القمر حتى النجوم بالتفافها كأنها تحتضنه رغم بعده عنها "

نظر ليو إلى عيني جوليا مداعباً:

- " إنه مثلك يا جوليا حين تبسمين تملئين الأرض فرحاً, ومن لا يحب جوليا "
- " لا شأن لي بأحد ماذا عنك أنت؟ "
- " ومن أكون أنا لا أستطيع الصمود أمام تفاصيلك التي اخترقت أسوار قلبي لتعلنه أسيراً لعينيك "
- ليو.. أنا أحبك
- " ومن لا يحب جوليا "

ابتسمت جوليا وأمسكت بيده قائلة :

- هيا بنا يا عزيزي إلى الداخل لنكمل الحفل.

دخل الإثنان إلى الحفل, وظهر ماركو من مخبأه باسماً ينظر إليهم محدثاً نفسه؛ يالك من أحمق ياليو قريباً ستصبح كل أموالك ملكي ثم فكر قليلاً وضحك بصوت عالٍ محدثاً نفسه مرة أخرى؛ تظنين أنك فقط من يمتلك عقل يا عزيزتي لا تعلمين أنه حين تستولين على أموال الغبي سوف أستولي أنا عليها وأتركك وحيدة مكسورة القلب.

سحب ماركو آخر الأنفاس بالسيجارة التي كانت بيده ثم ألقاها ماركو على الأرض وبعد أن دهسها بقدمه دخل إلى الحفل لينفذ ما اتفقا عليه.

وجد ليو وجوليا يجلسان على طاولة بجوار بعضهما البعض, وباقي الأصدقاء يرقصون, فقد كانت كما ذكرت حفلة عيد الميلاد, كان جميع الشباب في عمرهم يمرحون فاتجه ماركو إليهم, وطلب من جوليا الرقص معه فوافقت وأثناء الرقص همس ماركو إلى جوليا:

- " أرى أن الخطة تنجح. يظهر على وجهه الأحمرار والغيظ ولكنه مازال غير مُجدي."

فكرت جوليا قليلاً ثم ضحكت بطريقة لافتة وطلبت من ماركو أن يقبلها سريعاً فقبلها ماركو, فاشتد غضب ليو وقام فسحب جوليا من يدها للخارج وأشارت جوليا لماركو أن يتبعهم؛ فتبعهم ماركو إلى خارج بغيظ قائلاً:

- "ما هذه الحماقة التي فعلتها يا ليو.. كيف تجرؤ"
- " إن كانت سمحت لك بالرقص معها وذلك لا يسمح لك أن تقترب منها هكذا وتقبلها "

ثم تابع موجها كلامه إلى جوليا:

- " وأنتي كيف تتركينه يفعل ذلك "

فقاطعه ماركو بغضب:

- " وما شأنك أنت بذلك, أفعل ما يحلو لي.

ثم نظر لجوليا وقال بثقة:

- " إن جوليا لا تحبك إنها تحبني أنا وتستطيع أن تسألها "
- " أهذا صحيح.... جوليا عليك أن تختاري إما أنا أوهو

أنا اسفة يا ماركو, بالطبع أختارك أنت يا ليو فأنت تعلم كم أحبك يا عزيزي

إحتضنها ليو وغمزت جوليا إلى ماركو فقد كانت تعلم جيداً أن طريقتها كانت مُجدية، وهذه ستكون البداية وسيغرم ليو بها قريباً.

نظر ماركو إلى ليو النائم نظرة حقد, ثم قال بمكر:

- انتظر اللحظة التي سوف نستولى فيها على أموال هذا الغبي, وحينها أكون لك وحدك يا حبيبتي سوف نعيش حياة مليئة بالسعادة والأطفال الصغار"

امتلأت أسارير جوليا بالسعادة, وابتسمت قائلة:

- " أنا أحبك كثيراً يا ماركو.. هيا يا عزيزى, فلنخلد الآن إلى النوم قبل أن يستيقظ أحد, وسوف يأتي ذلك اليوم قريباً "

قبلها ماركو وابتسم ابتسامة ماكرة ثم ناما الاثنان

كما نذكر أن هناك من كان يشاهد ذلك الحديث إنها مارجريتا فلم تغادر بعد وعندما سمعت ذلك الحديث خاطبت نفسها قائلة:

- " ياله من أحمق ويالهم من أناس حقيرين "

استغربت مارجريتا أنها تشعر بالعطف تجاه ليو

ثم عادت وطردت تلك الفكرة من رأسها وغضبت مرة أخرى وأكّدت أنهم بشر لا يستحقون العطف أو المساعدة, غادرت مارجريتا لتستعد لعقاب هؤلاء البشر الحمقى، سوف يبدأ عقاب الظلال.....

[5]

في قصر غاية في الفخامة, يبدو على مالكيه أنهم أثرياء. به حديقة مليئة بالزهور والأشجار المثمرة ونسمات الربيع تداعب الحشائش الصغيرة, كان هناك في الحديقة بعض الموجودين, منهم شاب طويل القامة ووسيم ويمتلك ضحكة رائعة يرتدي ملابس راقية الزوق ومعاصرة كثيراً ومعه فتاة رقيقة الجمال ووجهها مستدير, وتمتلك عينان خضراء ويظهر عليهما الحب الشديد من الواضح أنهما متزوجان, والذي يقوي ذلك الاحتمال أنهما كانا يلاعبان طفلاً صغيراً ينادي كليهما بوالدي, يبدو عليهم أنهم عائلة سعيدة جداً, ولكن هناك في الجانب البعيد من الحديقة يجلس شاب أمام حوض مليئ بالزهور الجميلة، ممسك بيده

ألبوم من الصور تنظر إلى وجهه وهو ينظر إليها وتجد تأثيرها على وجهه واضحاً فبعضها ترى الابتسامة واضحة, وبعضها تسمع الضحكات العالية التي تذكره بمواقف مضحكة, وبعض الصور التي تمر مر الكرام بدون أي تعابير وبعض الصور المحزنة حتى وصل إلى صورة استوقفته كثيراً من الوقت كأنه ذهب إلى عالم آخر إذا نظرت إليه لا تعلم بماذا يفكر فأحيانا يبتسم وأحيانا تتسع عيناه وأحيانا يظهر عليه الحزن, ظل على تلك الحالة الكثير من الوقت, ثم أخرج زفيراً ونادى على الفتاة التي كانت تلعب مع الطفل في الحديقة, وتلك هي أخته عرفت ذلك عندما ناداها بأختاه جاءت إليه أخته وهي مبتسمة قائلة:

- " لماذا تجلس وحيداً "

كان رده أنه أظهر لها تلك الصورة التي كانت في يده, وما كان منها إلا أن أظهرت علامات الأسى قائلة:

- " مرت العديد من السنوات على ما حدث ومازلت تتذكر"

ابتسم أخوها بحنين الذكريات قائلاً:

- " وهل تعتقدين أنه من الممكن أن ننسى ذلك اليوم "
- " أنت محق إنه يوم غيّرَ الكثير من الأشياء بحياتنا, ولكن لازلت
- حتى اليوم أتساءل ماذا حدث بعد ذلك "

أطرق أخوها رأسه قليلاً واستند برأسه إلى الخلف ناظراً إلى منظر غروب الشمس, وأخرج زفيراً كان ثقيلاً على قلبه وقال:

- " اعتقد أنه بعد تلك السنوات الكثيرة حان وقت تنفيذ وعدي "
- " ماذا تقصد؟ "

نظر إليها مبتسماً وأمسك بيدها قائلاً:

- " أعلم أنني من يدير أعمال والدي ولكن يمكنني أن استأذنه بإجازة قصيرة لأزور أحد أصدقائي القدامى "

فكرت أخته قليلاً وبدا عليها الحزن فتابع سريعاً:

- " أعلم أنكِ تفكرين بما أفكر به.. هل مازال على قيد الحياة "

هزت رأسها موافقة على كلامه ثم قالت:

- " ذلك السؤال كثيراً ما يشغلني "
- " لذلك حان وقت أن أعرف إجابة ذلك السؤال "

ثم نظر مبتسماً إلى الشاب والطفل اللذان يلعبان سوياً في الحديقة قائلاً:

- " دعك من ذلك الآن كيف حال زوجك وصغيرنا ليو "

مع ابتسامة رقيقة جاءت كلمات مليئة بالحب:

- " إنهما يشبهاك كثيراً لذلك أحبهما كثيراً "

بعد أن اختفت الظلال, استيقظ سيمون من نومه, فزع من مكانه حتى استوعب ما جرى وأنهم نائمون في ذلك القصر الغريب فنظر من زجاج السقف فوجد أن السماء قد كفت عن المطر وأنهم يستطيعون المغادرة فحاول أن يوقظ أخته وكان ردها متعب:

- " دعني أنام يا سيمون لا أريد أن أذهب إلى المدرسة اليوم "

ضحك سيمون بصوت مرتفع ثم قبلها وقال لها:

- " إستيقظي عزيزتي سوف نذهب للنوم في المنزل.. كفاكي كسلاً إن والدتنا سوف تقلق علينا.. هيا إستيقظي"

إستيقظت إليزا وعيناها مغمضتان من التعب, وقالت والنعاس غالب عليها:

- " حسناً استيقظت دعنا نوقظ باقي أصدقائنا لنغادر "

وبالفعل قام سيمون بمناداة ماركو وليو وجوليا لكي يستيقظوا بدت أعراض التعب على الجميع, والبعض منهم كان يريد النوم حتى الصباح, فما كان من ماركو إلا أن قال:

- " لما العجلة, استكملوا النوم ثم نغادر في الصباح "

قاطعه ليو مسرعاً وهب واقفاً:

- " لا أنا لا أستطيع النوم هنا سوف نغادر "

حاول الجميع الاستيقاظ على الرغم من التعب الغالب عليهم, ولكن ليو قرر أن يغادر حتى لو كان وحده, اتجه ناحية الباب لكي يفتحه ليخرجوا من القصر ولكن...

أعتقد أن ليو في هذه اللحظة كاد يقع على الأرض من الدهشة والخوف...

فصرخ ليو وهو يحاول أن يتحسس الباب ويدعك عينيه عسى أن يكون مازال نائماً ويضرب نفسه ليشعر أنه مستيقظ وذلك ليس حلم فصاح:

- " ما هذا أين أختفي مقبض الباب "

ضحك سيمون بسخرية قائلاً:

- " كل ذلك بسبب النوم يا ليو, ألم تستيقظ بعد كل هذا الهراء "

كان يتمنى ليو في ذلك الوقت أن يكون نائماً فعلاً, وحاول أن يكذب ما رأته عيناه فقال لسيمون:

- " تعالى وأنظر بنفسك لقد حذرتكم.. إنني غير مطمئن لهذا المنزل "

ضحكات السخرية التي كانت على وجه سيمون تحولت إلى نظرات قلق, وهو الآخر يريد أن يكذب عينيه وأخبرهم بنبرة توتر:

- " إنه يقول الحقيقة لقد اختفى مقبض الباب "

باب القصر كان طوله 5 أمتار حديدي كما ذكرت لكم وبدون مقبض لن يتحرك من مكانه.

فزع الأصدقاء وهبوا واقفين يفكرون ماذا سوف يحدث لنا الآن كادت دموع إليزا الصغيرة تسقط وهي تنظر لأخيها وتسأله عن الذي سوف يحدث لهم, فاحتضنها. إنه لا شيء وسوف نخرج قريباً, الصدمة جعلت تفكير الأصدقاء متوقف حتي استجمعوا قواهم ثم انقض ماركو على

الباب بجسده لعله يفتح ولكن الباب حديدى قديم الطراز لا يمكن لدبابة أن تدفعه, فصاح بهم:

- " لا داعي للقلق إن هذا القصر قديم للغاية ربما لم يكن من الأساس هناك مقبض لهذا الباب ولم ألاحظ ذلك وأنا أغلقه "

قام ماركو محاولاً استخدام قوة جسده لفتح الباب, فلم يستطيع فأخذ بأحد الكراسي و حطمه وحاول أن يستخدم قدم الكرسي ليضعه بين مصرعيه لكي يفتح الباب, ولكن كل محاولاته باءت بالفشل, فما كان منه إلا أنه فكر في حل آخر قائلاً:

- " علينا أن نتفرق ونبحث عن أي مخرج آخر في ذلك المنزل, فلابد وأن هناك آخر "

مانع البعض فكرة التفرق لأن ذلك القصر كما ذكرت لكم واسعاً جداً قد تتوه به, ولا يعلمون ما قد يواجهون فاقترح ليو أن يبحثوا سوياً ولاقت فكرته السخرية من ماركو الذي نعته بالجبان وأن ذلك القصر كبير لابد أن يتفرقوا واتفقوا على أن يتفرقوا وأن يعودون أمام هذه الساعة مرة أخرى, كانت الساعة متوقفة ولكن لم يشغل ذلك تفكيرهم, وذهب ليو في طريقه, على الرغم من خوفه والكلمات التي تدور برأسه التي كتبت على الصخرة أنهم سوف يندمون إلا أنه استجمع قواه, وانطلق ولم يترك سيمون أخته وذهبوا في طريق يبحثون سوياً.

تبقى أمام الساعة جوليا وماركو وكان ماركو كان ينتظر مغادرة الأصدقاء, كانت جوليا مفزوعة فاقتربت من ماركو وقالت بصوت هادئ مرعوب:

- " ماذا سوف نفعل الآن يا ماركو لا أريد أن أموت "

- " هل عُديتِ من ليو أم ماذا ماهذا الخوف غير المبرر. إن القصر كبير للغاية أراهن أن هناك عشر أبواب على الأقل به "

جاءت كلمات ماركو مطمئنة لجوليا, فلامس شعرها المنسدل على كتفها وظل يحركه ونظر إلى عينيها قائلاً:

- " هم يبحثون عن المخرج, وكلٌ في طريق "

واقترب من أذنها هامساً:

- " ونحن نحظى ببعض المرح "

- " ليس هذا الوقت المناسب يا ماركو إننا في ورطة في ماذا تفكر؟ "

قالتها جوليا حانقة ومبتعدة عن ماركو, فأقبل عليها ماركو ولف ذراعيه حول خصرها ووضع رأسه على كتفها هامساً:

- " فكري ملياً إنه أنسب وقت, فالجميع منشغل بالبحث عن مخرج.. نحن أيضاً سوف نبحث ولكن في الطابق العلوي "

رُسمت الابتسامة على وجه جوليا وتابع ماركو حزيناً:

- " كنت أظنك تحبين المرح معي "
- " يالك من مقنع "

جاءت تلك الكلمات مع ضحكة إغراء عالية, وتبعتها غمزة من عين جوليا, صعدت على السلم لصعود الطابق الثاني الذي به غرف النوم وتبعها ماركو بنظرة باسمة، وهي تتمايل بدلال على درجات السلم, وهو يفكر بداخله محدثاً نفسه

" إنهن الفتيات حمقاوات دائماً, يظن كل منهن أنها تملك العقل المسيطر تستخدم ذكائها وجمالها في كيد الرجال والوصول إلى مبتغاها.. ولكن عذراً يا عزيزتي جوليا هناك أربع خطوات للوصول إلى أي فتاة, أولهم لا تحب أي فتاة, فذلك الحب يضعفك, وثانيهم أشعرها دائماً أنك تعشقها ولا تقوى على العيش بدونها, وثالثهم أعطيها ما تريده أنت واجعلها تشعر أن ذلك ما تريده هي, أما رابعهم وذلك هو الأهم لا تنسي أبداً الخطوات الثلاثة السابقة "

أنهى ماركو تفكيره بإبتسامة ساخرة وأخرج سيجارة وأشعلها, وصعد ليلحق بجوليا على ما أعتقد هناك سر سوف يحدث لا أستطيع أن أرويه.

في ذلك الوقت شعر ليو بالخوف, فعاد عند الساعة فلم يجد أحد فقرر أن ينتظرهم, و تحدث إلى نفسه بصوت عالي, بأنه لم يجد مخرج والنوافذ مغلقة بإحكام شديد ماذا سنفعل.

- " لن تجد مخرج "

جاء ذلك الصوت يدوي في جميع أركان القصر, كان منبعه الشقوق في الجدران ففزع ليو ووقع على الأرض رعباً وتابع المتكلم:

- " ولن يخرج أحد من هنا لقد ارتبكتم خطأ بتجرأكم على اقتحام قصر الدون إليخندرو "

ازداد فزع ليو من تلك الكلمات ولم يستطع الصراخ حين رأى شيئا يقترب منه إلا أنه إطمأن قليلاً حين دخل دائرة الضوء فتاة جميلة فهدأ قليلاً وقام على قدميه وسألها:

- " من أنت ومن أين أتيتي, لقد بحثنا كثيراً عن سكان المنزل "

ضحكت مارجريتا ساخرة:

- " أيسأل المتطفل أصحاب المكان من هم؟ "

ثم تابعت بنبرة حادة:

- " بل إنه أنا من يجب أن يسأل من أنت أيها المتطفل الذي تجرأ على دخول منزلنا. إنكم هالكون "

حاول ليو تبرير موقفه بعد أن لاحظ الحدة في الكلام, وفزع من توعدها لهم بالهلاك فبرر موقفه نافياً:

- " عن أي متطفل تتحدثين, لقد طرقنا الباب ووجدناه مفتوحاً... والقصر كان خاوياً لم نكن نعلم أن هناك من يسكن به "

تذكرت مارجريتا كلام والدها, وازداد غصبها ونبرتها حدة قائلة:

- " هكذا أنتم البشر.... تجدون مبرراً دائماً لاخطائكم وتلقون بعبئها على القدر إنه ما يدفعكم كما لو كانت عقولكم لا شيء "

ثم تابعت ساخرة:

- " يعجبكم دور الضحية, بينما أنتم الجناة "
- " هل اللجوء من الهلاك الذى كان بالعاصفة إلى منزلكم جريمة "

فقاطعته حانقة:

- " وهل عدم الإستئذان مباح؟ "
- " لو وجدنا أحد لفعلنا, لكن القصر كان خاوياً, بحثنا كثيراً عن أي شخص بالقصر ولم نجد, حتى الباب قد فتح من تلقاء نفسه, فكيف نعرف أن هناك من يسكنه "

وجدت مارجريتا أنه لا داعي للجداال, فإنهم بشر حمقى, ولامفر من مصيرهم تابعت:

- " لا فائدة ولا مفر من غضب أبى إنكم منتهون لا محالة"

ليو لم يكن يعلم ماذا يواجه, ولكن كلمات مارجريتا جعلت الخوف يدب قلبه, فبدت عليه علامات التوتر سائلاً:

- " ومن يكون والدك.. ولما يكون غاضباً كل هذا القدر "
- " لأنكم بشر, والحياة لا تستحقونها "
- " لا أستطيع أن أفهمك ومن أنتم لتقرروا وتتوعدوا بهلاكنا "

بدأ صوت مارجريتا يهدأ ونبرات الحزن تظهر على صوتها كأنها تذكرت شيء يحزنها ووجدت نفسها ترد عليه دون أن تدري:

- " نحن نتاج أخطائكم. بقايا عالم مروع لا يعرف سوى الخداع، لا مكان فيه للضعفاء. نحن عالم هرب من عالمكم وقد وجد أن أي عالم يكون أفضل من عالم البشر المخادعين.

بدت على ملامح ليو التعجب ولم يفهم شيء مما قالت, ظن أنها تقصد أنهم عاشوا هنا في هذا القصر المنعزل بعيداً عن الناس, ولكن من داخله كان يشعر أن هناك أمراً لا يفهمه فتابع سائلاً:

- " لا أفهم من تكونين وما هذا العالم الذي تتحدثين عنه "

ضحكت مارجريتا ساخرة منه, وقالت:

- شيء يفوق قدراتك أيها ال... بشري

لم يعتقد ليو أبداً أن ذلك الملاك الذي يراه قد يكون شيئا مخيفاً فظن أنها تستهين به, فضحك أيضاً ساخراً وقال في ثقة:

- " وما يكون ذلك الشيء الذى يمتلك هذا الوجه الجميل واللسان الظريف, و يمكنه أن يخيفني "
- " لا تحكم على المظاهر أنا لا أستطيع أن أخيفك فقط, إنني أستطيع قتلك الآن "

جلس ليو متكئاً على كرسي, ونظر إلى مارجريتا وكانه يتحدها قائلاً:

- " إذا كنتِ تقولين أننا جميعاً موتى.. إذن لماذا لم تقتليني منذ أن رأيتنى؟ "

ردت عليه مارجريتا حانقة بنبرة حادة:

- " لا تختبر صبري يا ليو "

على عكس المتوقع فلم يفزع ليو أنها عرفت اسمه, فقد ظهرت الإبتسامة على وجهه لأنها نادته باسمه فوقف وضحك واثقاً:

- " ليو.! يبدو لي أن هناك أحد مهتم لأمري "

شعرت مارجريتا بالخجل لأن لسانها قد ذل, فحاولت أن تخبيء خجلها ضاحكة:

- " ومن أنت لأهتم لأمرك "

واقتربت من أذنه وهمست له:

- " إنني أعلم كل شيء حتى مالا تعلمه "
- " ماذا تقصدين؟ "

ضحكت مارجريتا ساخرة منه وجلست على الكرسي وقالت كأنها تكلم نفسها بصوت مرتفع

- " أتساءل ياترى أين تكون حبيبة ليو المسكين الآن.. جوليا "

صدم ليو هذه المرة, وقال لها بنبرة حادة خائفة:

- " ماذا تقصدين؟ أين جوليا وماذا فعلتي بها؟ "

تجاهلت كلام ليو كأنها لم تسمعه وتابعت حديثها مع نفسها:

- " أو أين يكون هذا الذي من المفترض أن يكون صديق ليو.. ماركو؟ "

بدأ ليو يشعر بالضيق من عدم فهمه لكلامها, ظن في باديء الأمر أنهم قد يكون ألحقوا الأذى بجوليا ولكن عندما تكلمت عن ماركو شعر أن الأمر ليس كذلك فأسرع بسؤالها:

- " مـاذا تقصـدين؟ تكلمـي.. ولمـاذا تكلمتـي عـن مـاركو وجوليا معاً "

- " تعـالي خلفـي سـأريك شـيئاً قـد ترغـب فـي رؤيتـه.. صدقني سوف يعجبك كثيراً "

صعد الاثنين إلى الدور العلوي, وظلت مارجريتا تسير في ضوء القمر حتى لا يفزع ليو من تحولها, وعندما وصلا إلى الغرفة التي بها جوليا وماركو فتحت له مارجريتا باب الغرفة مقدار صغير يستطيع أن يرى منه, وهنا جاءت الصاعقة على وجه ليو إنهم.....

[6]

عندما رأتنا تجمدت من أثر الرعب, فالجميع يظننا عفاريت يالهم من حمقى، هنا تبدأ مراسم نصب " محكمة الظل " محكمة الظل هي أحد الطقوس الخاصة بالظلال التي نستخدمها لعقاب البشر إننا لا نقتل البشر بل هم من يقتلوا أنفسهم بظلام قلبهم, بدأنا نردد التعاويذ الخاصة ب "محكمة الظل" وهي مازالت لا تقوى على الحركة, وحتى إن استطاعت هي الآن لسيت في عالم البشر....

" محكمة الظل " هي غرفة تعذيب من نوع خاص مصنوعة من الظلام؛ ينيرها بعض الرموز التي تتوهج لأنها مصنوعة من النور، تلك الرموز تعني باللغات القديمة " حاكم نفسك " وكل بشري يحاكم نفسه بطريقته الخاصة... أما هذه الفتاة

- " العالم دول منفوخين منفوخين "

كانت تلك كلمات جيكاب الذي شعر بالأسى على مصيرهم والذي كان يعرف جيداً كيف سيكون مروع, ولكن إيمت يعلم جيداً أن مجرد الإحساس بالشفقة عليهم قد يجعل والدهم يعاقبهم, فهو يكره البشر أكثر مما يحب أبنائه, فصاح في جيكاب:

- " اسكت لأبوك يسمعك يفتكرك زعلان عليهم وتتنفخ معاهم "

- " أنا مبخافش ياض.. دا أنا واد جن من الآخر بئا ومتخلقش اللي اخاف منه "

امتلأت كلمات جيكاب بالثقة والجرأه, إلا أن إيمت قد فزعت عينيه, ووانحنى على الأرض قائلاً:

- " مرحباً يا والدي "

فزع جيكاب وانحني على الأرض, بدون النظر خلفه ووضع يداه على رأسه قائلاً مفزوعاً:

- " بص بئا يا سيد الناس أنا هعترفلك بكل حاجة.. الواد إيمت صعبان عليه الناس دي وأنا فضلت اقوله يا بني دول بشر وحشين وهو مسمعش كلامي.. وبيني وبينك يا حج بيشتمك فغيابك وبيقول إنه مش بيخاف منك وبيخبي الحشيش فالشراب "

هنا تعالت ضحكات إيمت سخرية من أخيه فقد خدعه, ولم يأت والدهم, وسخر منه قائلاً:

- " دخلت عليك يا أهبل يلا يا جبان وبعدين بسهولة كدا بتسلمني تسليم أهالي "

- " طب وحياة أمك.. "

قبل أن يكمل جيكاب توعده لأخيه يدخل عليهم الدون, فانحنى له جيكاب مرحباً به فظن إيمت أنه يخدعه كما فعل هو فضحك ساخراً وقال بثقة :

- " أنت مفكرنى غبي زيك وهخاف بقى من أبوك والكلام ده هو أنا خرع زيك "

لاحظ إيمت أن جيكاب مازال منحنياً وينظر إليه بذعر ويشير إلى فمه بأصبعه وكأنه يقول له اسكت يا غبي والدك خلفك, وبالرغم من ذلك لم يصدقه إيمت فتابع:

- " إنت بتبصلى ليه... لو عملت أي هقول لابوك برده إنك حاسس بالشفقة عليهم "

شعر إيمت بوجود أنفاس خلفه، فنظر إلى اخيه وأشار بإصبعه إلى الخلف كانه يسأل جيكاب؛ إنه بالخلف أليس كذلك فهز جيكاب رأسه بنعم. ابتلع إيمت ريقه،

التفت إيمت وهو يرتعش قائلاً:

- " لا مؤاخذه يا حج هروح الحمام وأجي "

- " إيمت "

- " لو قعدت أكتر من كدا هعملها ف الهدوم "

- " إيمت "

- " عاجبك كدا البنطلون اتوسخ "

فصاح الدون إليخندرو قائلاً:

- " كفاكم هراء أيها الحمقى, ودعكم من هذه اللكنة الغبية.. حان الوقت الآن أن نبدأ بمعاقبة البشر "

بدأ الأخوين بالنظر إلى بعضهما كان أحدهم يقول للآخر تكلم معه حتى فض إيمت هذا الصمت:

- " والدى جيكاب يريد أن يخبرك بشيء "

صاح جيكاب خوفا:

- " ماذا.. أنا لالا إنه ايم ايم إيمت من يريد أن يخبرك شيء

غضب الدون وقال حانقاً:

- " تحدثوا الآن ماذا هناك "

استجمع جيكاب قوته, وقال بصوت متردد:

- " كنت اتساءل أنا وإيمت ماذا لو تركناهم يذهبون وحسب؟.. لقد سئمنا من قتل كل البشر الذين يتطفلون على المنزل "

غضب الدون كثيراً من رغبة أبنائه, وصاح بهم متعجباً:

- " نتركهم.. لا أعتقد أنه علي أن أروي عليكم قصة موت والدتكم في كل يوم "

حزن إيمت ونظر إلى الأرض مواسياً:

- " لا يا والدي لا تذكرنا "

لكن الدون اليخندرو كان يريد أن يذكرهم, فقال وكأنه يتذكر الأحداث والأسي والغضب يظهرأن على وجهه:

- " لا سوف أذكركم حتى لا تسألو مرة أخرى لماذا لا نشفق على البشر "

ثم تابع متألماً وهو واضع يده علي قلبه:

- " لأنهم لم يشفقوا على والدتكم "

كان جايكب وإيمت في ذلك الوقت لم يتعدوا سن الثانية عشر ولكي لا أترككم تتساءلون كانت العائلة من البشر قبل أن يتحولوا ظلال، كانت

عائلة سعيدة في ذلك الوقت كان الأطفال يلعبون بإنتظار والدهم أن يعود من العمل، فقد كان رجلاً عسكرياً لذلك كان يلقب بالدون، كانوا ينتظرونه حتى يحتفلوا سوياً بحفل عيد الميلاد الذي أعدته لهم والدتهم " صوفيا "

تتذكرون حين قلت لكم أن مارجريتا جميلة جداً فأنتم لم تروا إذن صوفيا بعد. قد ورثت مارجريتا من والدتها الجمال والشعر الذهبي والعينان العسليتان, وكانت صوفيا طيبة القلب وتحب أطفالها جداً, وكان بينها وبين اليخندرو قصة حب عظيمة قبل أن يتزوجها, لذلك كان الدون يعشق زوجته عشق لم يشهده أحد من قبل.

كان الأطفال يلهون, بينما تساعد مارجريتا والدتها في الأعمال المنزلية, وكان إيمت يضرب جيكاب مازحاً معه فرد عليه جيكاب:

- " يا بني بطل ضرب دا أنا أخوك برضو "

صمت إيمت وبدأ بلعب دور الممثل:

- " أنت مش أخويا "
- " إيه "
- " إحنا لئيناك قدام المعبد اليهودي كنت بتلعب فمنخيرك"
- " لا مش مصدق "
- " أنت مش أخويا أنت لقيط.. فاهم يعني إيه لقيط "

ظهرت علامات الأسي على وجه جيكاب إلا أنه ابتسم فجأه فلقد تذكر شيئاً ما, فرد على إيمت فرحاً وقال:

- " طب اشطا طالما مش أخوك ولقيط هات بئا الفلوس اللى عليك عشان الم هدومي وامشي "

فأسرع إيمت واحتضنه مسرعاً:

- " ياض دا أنا بهزر معاك ياض دا أنت أخويا هو فيه بين الاخوات فلوس برضو "

ثم حدث نفسه قائلاً؛ يارب ينسى الفلوس دى

في ذلك الوقت عاد الدون من العمل فأسرعت صوفيا واحتضنته كأنها لم تراه منذ زمن قبلها من رأسها وقامت بخلع الجاكيت من عليه وتعليقه وابتسمت قائلة:

- " لقد اشتقت لك يا عزيزي كثيراً "

احتضنها الدون من خصرها ووضع رأسه على كتفها، كانوا ينظران من النافذة فنظر إلى القمر مداعباً لها:

- " أحياناً في أيام عملي عندما أبيت خارج المنزل يحرقني قلبي شوقاً لكي عزيزتي, ولكن ما يصبرني هو القمر الذي كلما نظرت إليه ذكرني بوجهك الساطع الذي يسحر قلبي "

ابتسمت صوفيا ولكن قاطع هذه اللحظة الرومانسية صوت إيمت الأحمق قائلاً:

- " الله يسهلو يا عم "

ضحك الوالدين وأمسكت صوفيا يد الدون لكي يحتفلوا, ولكن وجدوا أن الشموع غير موجودة, وكاد أن يخرج الدون لكي يشتري الشموع إلا أن صوفيا طلبت منه البقاء لأنه متعب من العمل ولا تريد أن ينزل أحد من الأطفال خشية عليهم, فقررت أن تخرج هيا لتجلب الشموع.

ووسط ضحكات الأطفال والدون الذي كان يداعبهم, سمعوا صوت ارتطام شديد أمام المنزل ففزعوا جميعاً وخرج الدون مهرولاً ليجد أمام المنزل صوفيا غارقة في دمائها وسيارة بها بعض الفتيان السكارى يهربون مبتعدين بعدما صدموا صوفيا, إرتمى الدون على الأرض وحتضنها, وقد انعقد لسانه من المنظر يكاد لا يصدق ما يراه وخلفه الأطفال يبكون؛ ولم يستطع الدون التحدث

إلا أن صوفيا وهي تلتقط أنفاسها الأخيرة رفعت يدها بصعوبة ووضعتها على وجه الدون وابتسمت له قائلة:

- "عيد ميلاد سعيد يا.. حبيبي "

وكانت تلك آخر كلمة صدرت من صوفيا, وهنا جاءت صرخة الدون المدوية التي هزت أرجاء المكان واحتضن صوفيا وبدأت دموعه

بالانهيار كأنها شلال من الدموع وبعد أن دفن زوجته في ليلة عيد الميلاد لم يحتمل العيش أكثر من ذلك في عالم البشر البغيض.

فذهب إلى أحد السحرة، أعطاه تعويذة تستطيع أن تحوله إلى ظل, لا يمكن أن يراه أحد إلا في ليلة عيد الميلاد ويستطيع أن يقتل البشر في أي وقت شاء وأن ضوء القمر يغسله من ظلام الظل، ما كان من الدون إليخندرو إلا أنه إستخدم التعويذة وقتل كل من دخل ذلك القصر...

لن أنسي ذلك اليوم الذي خرجت فيه روحي من بين ضلوعي وقد أخذها مني بعض الشبان الحمقى المتهورون بعد أن صدموا حبيبتي، وتركوها بلا أي مبالاة مثل هؤلاء الأغبياء قاطعين الفرحة, لايستحقون الحياة

امتزجت كلمات الدون إليخندرو بالدموع التي أخفاها عن أبنائه

فتابع جيكاب كلامه كأنه يكمل باقي القصة بنفس أسلوب والده:

- " ومنذ حينها قد حولتنا إلى ظلال "

فتابع سائلاً:

- " ولكن ما هو اليوم يا والدي "

استغرب الدون من ذلك السؤال, وجاوبه بسؤال آخر:

- "ماذا... لماذا تسأل "
- " أقصد أن اليوم هو الثلاثاء يا أبي "
- " ماذا تعني بالثلاثاء "

تدخل إيمت لكي يوضح الأمر لوالده ساخراً:

- " لأننا اعتدنا أن نستمع إلى هذه القصة يوم الأحد والأربعاء وليس الثلاثاء "

استشاط الدون غضباً, وصاح بهم:

- " اذهبوا من أمامي أيها الحمقى, واستعدوا لنهاية البشر لن يخرج أحد من هنا "

بالفعل تلك كانت بداية معاقبة الظلال للبشر.....

[7]

بعد أن استخدمت الطفلة التهديد لأخيها حتى يذهب معها إلى غرفة عمهما ليقص لهما إحدى قصصه التي كان يكتبها كان ما باليد حيلة بالنسبة للطفل فلم يجد أمامه مفر إلا أنه وافق على الذهاب معها، خرجا الاثنين من غرفتهما التي تبعد عدة غرف عن غرفة عمهما التي توجد في نفس المنزل؛ كان عمهما جالس في غرفته التي لا تبدو بجمال غرفة الأطفال, كانت غرفة واسعة بها مكتبة كبيرة مليئة بالكتب التاريخية والخيالية القديمة؛ سرير غير مرتب, ملابس ملقاة على الأرض, أقلام و أوراق مبعثرة في أرجاء الغرفة, الأتربة على الحوائط, من الواضح أن عمهما مهمل بعض الشيء؛ كان يجلس على المكتب المضاء بمصباح أعلاه. أمامه العديد من الأوراق المبعثرة والأقلام وبعض الأوراق الممزقة من الواضح أنه كان يكتب إحدى قصصه الجديدة, ها هو ذا يمسك بقلمه و...

و... ماذا يفعل؟, إنه لا يكتب على الأغلب إنه يضع أذنه على المكتب اعتقد أنه يسمع شيئاً ما ولكن لا أعتقد ذلك بعد ذلك الصوت الذي أخرجه الآن, إنه شخير علمت الآن أنه لم يسمع شيء، إنه نائم وجاءت طرقات الباب لتقطع عليه أحلامه السعيدة فاستيقظ فزعاً ليدرك أنه نام أثناء الكتابة, وسمع الطرقات مرة أخرى فسأل بصوت نائم:

- " من الطارق "

- " إننا نحن يا عمي, نريدك في شيء ما "

كانت تلك الكلمات الرقيقة خارجة من الطفلة الصغيرة والتي أفاقت عمهما من نومه بعد أن سمعها فنظر إلى الغرفة نظرة اشمئزاز من منظرها المهين له, فهو من المفترض أن يكون قدوة للأطفال الصغار, فطلب منهم أن يمهلوه دقيقة و حاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه؛ جمع ملابسه الملقاة على الأرض ووضعها بالدولاب ثم فتح الباب للأطفال مبتسماً, ورحب بهم وادخلهم ليجلسوا بالداخل, فبادلته الطفلة الترحيب قائلة:

- " كيف حالك يا عمي "
- " بخير يا عزيزتي "

ثم نظر إلى الطفل مبتسماً مداعباً له وهو يقول:

- " وكيف حال صغيري سيمون أما زلت تشكك بقدرتي على كتابة القصص "

لم يجبه سيمون على ذلك السؤال إلا بالابتسامة الصفراء, لكن الصغيرة من جاوبت على ذلك السؤال قائلة:

- " إنني أحب قصصك كثيراً, إنها ممتعة و مسلية جداً
- " أعتقد أنه أنتي يا إليزا الوحيدة في ذلك المنزل التي تعطيني الثقة بنفسي "

مع لهجة السخرية قال سيمون محدثاً عمه:

- " وماذا سوف تحكي لنا اليوم هل سوف تحكي " إليزا والوحش " أم " سيمون والأميرة إليزا " أم أن هناك شيء جديد.

ابتسم عمهم لسخرية سيمون وفكر قليلاً ثم نظر إلى الأوراق الموضوعة على المكتب بنظرة جادة وقال لهم:

- " هناك شيء جديد "

لم يصدق ليو بشاعة ما رآه, جوليا وماركو يخدعانه كل ذلك الوقت إنها تخونه مع ماركو, فتمتم بصوت واضح محدثاً نفسه:

- " أنا لا أصدق ما رأت عيناي, إنه كابوس كل هذا وجوليا تخدعني؛ كانوا يريدون أموالى فقط "

- " عرفت الآن أن البشر مخادعون!؟ "

قالتها مارجريتا ونظرات النصر على وجهها, وكأنها أثبتت ما تريد؛ مازالت علامات الدهشة على وجه ليو متابعاً:

- " إنني لا أصدق جوليا وماركو في فراش واحد "

ثم نظر إلى ابتسامة مارجريتا متعجباً, وسألها:

- " ولكن لماذا تريني هذا؟ ماذا تريدين أن تثبتي؟ "

أدارت مارجريتا ظهرها كي تخفي دموعها عن ليو وقالت بصوتها الحزين:

- " أحاول أن أثبت ما توصلت إليه بعقلك ولا تريد الإعتراف به "
- " لا أفهم ,ماذا تقصدين؟ "

قالها ليو رافعاً حاجبيه دليل على عدم الفهم, فتابعته مارجريتا وتكاد الدموع تسقط من عينيها:

- " أنا أريد أن أثبت أنه لا يوجد ما يسمي بالحب الصادق.. هذا كله
- أوهام تتوهموها, تكذبون وتخادعون وتصدقون كذبتكم.. ويصدقها الناس الأبرياء ثم بعد ذلك لا يهم كم من القلوب المحطمة بسبب خداع البشر بذلك الشيء الملعون"

بعد أن سمع ليو تلك الكلمات تيقن أن هناك شيء تخفيه مارجريتا, دار حولها فوجد بعينيها بريق الدموع, فسألها:

- " لماذا أرى في عينيكِ دمعة الإستهزاء؟ "

ابتسمت مارجريتا ساخرة, ثم أخرجت زفيراً, ونظرت إلى السماء من زجاج السقف قائلة:

- " لم تكن أول من يخدع بما يسمي الحب الملعون ولن تكون الأخير "

" الفقرة القادمة على لسان مارجريتا "

كنت في ذلك الوقت في سن الثامنة عشر, كنت فتاة يشهد الجميع لي بالابتسامة التي لا تفارق وجهي أحب المرح واللعب مع إخوتي كانت صديقاتي تحكي لي دائما عن قصص حبهم وكم أن الحب ممتع وشيء جميل, كنت استمتع دائماً بتلك الحكايات وكنت أصدقها وخاصة عندما أنظر إلى مدى الحب بين والداي.

كنت أتمنى دائماً أن أعيش قصة حب مثل والداي, أنظر إلى القمر دائما وأتأمل الفارس الذي سوف يخطفني من بين هذا العالم لأعيش في عالمه, لم أكن أعلم أنني سوف أجد هذا الفارس بتلك السرعة.

في يوم كنت ذاهبة إلى والدي في عمله, كان معي أخي

إيمت في ذلك اليوم لم نجد والدي فقد ذهب إلى الإطلاع على بعض الأمور الخاصة بالجيش وذلك ما قاله لنا الضابط " ألبرتو " كانت أول مرة لي أرى فيها ألبرتو من الواضح أنه أنتقل إلى هنا حديثاً, وذلك ما تأكدت منه بعد ذلك. وصفه ليس بالأمر العسير.

كان ألبرتو شاباً طويل القامة مفتول العضلات متناسقها، ممشوق القوام معتدله, عمره يقارب الأربع والعشرين, كان يمتلك أسناناً ناصعة البياض؛ مما أضفى على ابتسامته سحر من نوع خاص شعرت به منذ

أول كلمة قالها لي, كان وسيماً جداً بالزي العسكري, لسانه لا ينطق سوى بكلمات المدح والإحترام, لم أكن أعلم ماذا أصابني تلك المرة, ولكن هناك شيء واحد أردته وقتها هو أن أتكلم معه لوقت كافي.

وكأنه كان يستمع إلى خواطري, فقد جلس معنا متحججاً أنه أيضا ينتظر الدون, وظل يداعب أخي إيمت ويبتسم لي ومع كل ابتسامة منه كان قلبي ينقلع عن مكانه من الفرحة ووجهي يزداد إحمراراً, لاحظ إيمت مايحدث وتعابير وجهي على الرغم من أنه كان صغيراً وقتها ولكنه فهم الأمر وتحدث إلى ألبرتو قائلاً:

- " لامؤاخذه ياسطا مش أنا اللى اتقرطس وأبقي إريل "

- " ماذا تقصد أنا لا أفهم شيئا "

كانت تلك كلمات ألبرتو الذي لم يفهم ماذا يقصد إيمت فتابع إيمت:

- " بص يا صاحبي عشان بس مش أنا اللي يتعمل معايا كدا.. أنت شخلل جيبك كدا عشان تعدي "

رفع ألبرتو حاجبيه متعجباً فتابع إيمت مرة أخرى:

- " هبسطهالك يعني هات فلوس أجبلكو شاي.. بوزعلك نفسي يعنى وأهو أبقي طلعت بأي مصلحة "

وقتها ضحكنا كثيراً أنا وألبرتو من كلام إيمت إلا أن ألبرتو أخرج من جيبه بعض القطع النقدية وأعطاها لإيمت فعدها إيمت ثم ابتسم قائلاً:

- " يلا مع انها جايه عليا بخسارة؛ مصلحة زى دى أخد زي دول مرتين بس معلهش المرادى عشان أول مرة بس، أنا هروح أراقبلكم الطريق عشان أبويا "

أنصرف إيمت وازداد ضحكنا, فقد كان يتسم منذ صغره بخفة الدم وبراعته في استخدام اللكنات الغريبة, وقاطع تلك الضحكات ابتسامةٌ من ألبرتو و سألني عن اسمي, فأجبته مارجريتا, لمعت عينيه وابتسم قائلاً:

- " مارجريتا.. ياله من اسم رائع وجميل كصاحبته "

شعرت بالخجل الشديد وأدرت وجهي عنه ودقات قلبي تزداد, فعرفني على نفسه وتحدث عن نفسه قليلاً وما كان مني سوى الابتسامة والنظر إليه وهو يتكلم, وقاطع كلامه هرولة إيمت الذي أتى من الخارج صائحاً بصوته الرفيع:

- " كبسة كبسة ارمي الجثة بسرعة "

تعالت ضحكاتنا ثم أتى والدي من الخارج, كلمه ألبرتو في بعض الأمور العسكرية ثم استأذن وانصرف, جلسنا قليلاً مع والدي مع أنني أشك أنني وقتها كنت معهم فقد كنت بعالم آخر تماماً, ثم عدنا إلى المنزل مع والدنا تناولنا العشاء الذي وضع أمامي ورفع دون أن أكل شيئاً, فقد كنت سابحة في تفكيري ثم صعدت إلى غرفتي

لم أستطع النوم كل ما أفكر به أنني أنتظر غداً بفارغ الصبر كي أذهب إلى والدي, وبالطبع لم يكن من أجل والدي كان من أجل أن أرى ألبرتو, لم أعرف وقتها أنني أحببته, فقد كنت في سن المراهقة وكنت أول مرة أشعر بذلك الإحساس. مرت بعض الأيام كنت أرى بها ألبرتو حتى علمت أنه سافر في مهمة, ولن يعود إلا بعد أسبوعين لم أكن أعلم وقتها لماذا أبكي, لمَ افتقده هكذا!، فكرت به كثيراً وسبحت في خيالي, وأنا أتذكر كل كلمة قالها لي وأنا أعد الأيام حتى موعد عودته بفارغ الصبر.

وبعد مرور الأسبوعين ذهبت إلى والدي, ولكن لم أجده ولم أجد ألبرتو, جلست أنتظر والدي حزينه, ولكن قاطع صمتي خبطات رقيقة على كتفي وصوت همس قائلاً:

- " منذ متى والقمر يبدو حزيناً؟ "

كانت تلك كلمات ألبرتو الذي جعل لساني يفلت مني قائلاً:

- " ألبرتو.. لقد افتقدتك كثيراً "

وضعت يدي على فمي خجلاً وإحمرت وجنتاي لما قلت, ثم حاولت الإنصراف إلا أنه قد امسك يدي وابتسم قائلاً:

- " أنا أيضا افتقدتك كثيراً "

حينها شعرت بشعور جميل كأنني أطير في سماء صافية ليس بها غيري, ومن هنا بدأت أعرف معنى الحب. أحببت ألبرتو كثيراً, فقد كان

هو حبي الأول كنت أذهب إلى والدي كل يوم ولم يعترض, فقد كان يحبني كثيراً ويحب أن يتحدث معي, فقد كان يقولي لي دائماً أنني أشبه والدتي وأذكره بها؛ كنت أنتظر أن يذهب والدى لمتابعة العمل وأذهب أنا إلى مكتب ألبرتو نتحدث كثيراً ونضحك كثيراً حتى أعترف لي بحبه ونيته في أن يخطبني, لن أنسى مدى فرحتي بذلك اليوم أعترفت له أني أحبه أيضاً, عشت أجمل أيام حياتي ولكن الفرحة لا تدوم.

في أحد الأيام التي كنا نخرج بها سوياً, كنا ذاهبان إلى الحديقة العامة تحدثنا كثيراً وضحكنا وقال لي كلام الغزل الذي كان بارعاً به, ثم ارتبك فجأه وكأنه رأي شخص يعرفه, فسألته ما به, فجاوبني لا شيء وقال لي

بأنه سوف يذهب إلى المرحاض؛ ذهب ألبرتو وعاد بعد قليل مبتسماً وقال لي:

- " حبيبتي مرجريتا, لقد اشتقت إليك "

ابتسمت وقلت له في خجل:

- " يالك من مشاكس, إنهم مجرد خمس دقائق "

ضم يدي بين يديه وهمس إلي:

- " أنتى تعلمي جيداً أنني لا أستطيع أن أظل بدونك دقيقة واحدة "

- " ألبرتـو حبيبـي إننـي أحبـك جـداً متـى سـوف تتقـدم لخطبتي؟ "

ابتسم وغمز لي, وقال:

- " قريباً جداً يا حبيبتي سوف آتى إلى الدون اليخندرو وأتقدم لخطبتك "

فرحت كثيراً فقطف أحد الزهور ووضعها في شعري, ثم قال:

- " ولكن لسوء الحظ الآن لدي موعد مهم لابد أن أذهب إليه؛ لن اتأخر كثيراً, انتظريني "

ثم قبل يدي وتابع مبتسماً:

- " سوف أفتقدك كثيراً "

لم أكن قادرة على التكلم من الفرحة, فاكتفيت بالابتسام وأنصرف ألبرتو

جلست أنتظره؛ أمسكت الوردة وشممتها واحتضنتها وجلست أكلمها ولكن قاطع تلك اللحظات بفزع كلمة:

- " بخ "

كان ذلك إيمت المشاكس, فقد كنت أعرف أنه يتردد دائماً على هذه الحديقة ليلعب مع أصدقائه فقلت له حانقة:

- " ماذا تريد يا إيمت؟ "

- " بتعملي إيه لوحدك "
- " إنني أنتظر ألبرتو "

فقد كان إيمت الوحيد الذي أحكي له عن أنني أحب ألبرتو ولكنه كان صغيراً لايفهم كل ما أقول فرد علي متعجباً:

- " وبتقوليها فوشي كمان.. يعني مش هتروحي معايا "

- " لا أستطيع القدوم إن جاء حبيبي ألبرتو وأنا لست هنا سوف يغضب مني "

- " من الواضح إنك هتستني كتير "

شعرت بالخوف حينها ظننت أن هناك مكروها قد أصاب ألبرتو فقلت له مسرعة:

- "ماذا تقول؟ إيمت ماذا حدث لألبرتو, أهو بخير؟ أجبني"

قال إيمت ضاحكاً:

- " أنا لو مكانه مكنتش هاجي دا معاه حتت مزة "

لم أفهم ماذا يعني فرفعت حاجبي فتابع قائلاً:

- " هفهمهالك باللغة الرسمية "

فضخم صوته ورفع صدره ولعب دور الممثل قائلاً:

- " إن ألبرتو مع فتاة أخرى الآن "

لم اصدقه وضحكت فلقد اعتدت منه دائما على هذا المزاح فقلت له:

- " كف عن مزاحك السخيف هذا إيمت "

لكنه لم يكن يمزح فقال لي:

- " إننى لا أمزح اتبعيني "

ذهبت مع إيمت ولم أصدق ما رأيت, ألبرتو في أحضان فتاة أخرى, واتضح لي أنه كان قد ارتبك عندما رآها في المرة الأولي, وأنه قد كان ذاهب إليها وليس إلى المرحاض, وسمعته يقول لها أنه معي من أجل والدي حتي يحصل على الترقيات, ولا يبعث في تلك المأموريات المتعبة.

حينها شعرت أن قلبي قد تقسم إلى أجزاء قطعت الوردة وألقيتها على الأرض وقلت في نفسي؛ يالكم من حقراء أيها البشر المخادعون لن أثق بكم بعد الآن.

- " حدث ماحدث لوالدتي بعدما حدث ذلك مع ألبرتو بفترة قصيرة, ولم أعارض والدي بأن نتحول إلى ظلال.. أرأيت يا ليو لست وحدك من شعر بمرارة الخداع "

تأثر ليو كثيراً بما سمع ولكن تجمدت أعضاؤه ونسي كل ماسمع عندما ذكرت مارجريتا تحولنا إلى ظلال فقال لها بصوت مهزوز:

- " أي ظلال.... تتحدثين منذ أن رأيتك كما لو كنتي.. "

قاطعته مارجريتا مبتسمة:

- " كما لو كنت ماذا؟ "

خرجت مارجريتا من دائرة الضوء وتحولت إلى ظل وفي لمح البصر كانت خلف ليو وقالت بقرب اذنه:

- " بووو.. هل أصابك الخوف الآن "

ضحكت مارجريتا بينما وقع ليو على الأرض من أثر الرعب والمنظر المخيف الذي رآه أمامه كأن لسانه انعقد, حاول أن يفرك عينيه ولكن مايراه حقيقي فقاطعت مارجريتا خوفه بضحكتها ساخرة:

- " هل تخشى الظلال؟... إن كنت مكانك لأصبت بالهلع, إن والدى لن يترككم ترحلون "

قام ليو بعد أن أستجمع قواه قائلاً:

- " لا أظن أن ذلك الجمال الذي كنت أراه منذ قليل قد يستطيع أن يقتلني "

ابتسمت مارجريتا ولكنها أخفت ابتسامتها وتذكرت كلام والدها عن خداع البشر وهمت لتغادر المكان

فقال ليو مسرعا:

- " انتظري مارجريتا أريد أن أتحدث إليكِ "

حاول أن يلحق بها ولكنها اختفت فذهب يبحث عنها في أرجاء المنزل.

[8]

في إحدى غرف المنزل بالطابق العلوي كان هناك ماركو الذي كان يكمل إرتداء ملابسه بعد أن غادرت جوليا قبله لكي لا يشك بهما أحد. الغرفة من الطراز العتيق بها سرير ضخم مرصع أعمدته, بها بعض الزخرفات الذهبية, بها طاولتان, و لحسن حظهما فقد وجدوا بالغرفة بعض الشموع فقاموا بإشعالها, فقد كان ماركو يملك أعواد ثقاب لأنه كان يدخن, معلق بالغرفة بعض الصور.

كان ماركو يتمتم ببعض الأغاني, فقد كان مزاجه في حالة جيدة، من الواضح أن جوليا بارعة في تحسين الحالة المزاجية للرجال, ومن الواضح أيضاً أنه أمضي ليلة جيدة, أعطى ماركو ظهره للباب, ونظر للصور المعلقة على الحائط محدثاً نفسه بصوت عالي:

- " ياله من بيت غريب "

أمسك إحدى الصور في يده وأزال من عليها الغبار, فضحك بسخرية قائلاً:

- " من هذا الأبله, إن منظره يدعوني للضحك وما هذه الأنف الكبيرة "

لم يكن ماركو فقط من يضحك, بل كان هناك من يراقبه ولكن دون أن يشعر ويسخر من أخيه محاولاً إخفاء ضحكاته, كان ذلك جيكاب حتى اشتد غيظ إيمت وهمس إليه:

- " يعني مش كفاية وسخ سريري الطاهر كمان بيتريق عليا "

فضحك جيكاب وهمس له:

- " لا بس اسكت يا راجل الواد كان أسطوره رهوان في قلب الأوضة, وعلى رأي المثل دائماً تذهب المزز لمن لا يستحق "

فصمتا عندما أنتبها لحضور والدهم وعلموا أنها وقت بداية المراسم

نظر ماركو متأملاً في الغرفة محدثاً نفسه:

- " من يترك قصراً كبيراً كهذا خاوياً يساوي ثروة.. إنهم لربما حمقى بالفعل "

هنا فزع ماركو فزعاً شديداً, كاد يقع على الأرض, حينما وجد هناك من رد عليه قائلاً:

- " وإنهم لحمقى بالفعل من يتجرأون ويتطفلون على منزلي "

تلك كانت كلمات الدون إليخدرو التي ارتعدت لها فرائس ماركو وحاول أن يستجمع قواه ويقول بنبرة مرتعشة:

- " من أنت؟ "

وكان الرد يدل على ما سيحدث بعد ذلك:

- " أنا أسوأ كوابيسك.. أنا من سيقبض روحك "

" الفقرة القادمة على لسان ماركو "

بعد أن تجمدت أعضائي من الفزع لتلك الكلمات, فجأه يظهر أمامي ثلاثة أجسام سوداء, لا أكاد أرى منها شيء سوى بعض التي أظهرتها لي ضوء الشموع.

أجسام سوداء ليس بها ملامح, هيكلها الخارجي كأنهم رجال ولكن جلدهم أسود وعيونهم سوداء كأنها ظل لرجل أنعكس على الأرض في ذلك الوقت كان قلبي يدق كطبول الحرب, ولكن لم أكن أعلم أن تلك هي البداية فقط.

بدأت تلك الأجسام تتوهج, وبدأت أسمع بعض الكلمات غير المفهومة كأنها تعويذات وازدادت تلك الأجسام توهجاً وكل ذلك وأنا لا أقوى على الحركة, فقد خانتني قدرتي من هول المنظر, بدأت تعلو الأصوات والتوهج إلى أن توقف كل شيء فجأة واختفى كل ذلك, بدأ قلبي يهدأ قليلاً وأحاول أن أستوعب ما حدث, فكرت إنني كنت أحلم حاولت أن

أفرك عيني لأتأكد, أغمضت عيني وفتحتها, ولكني قد وجدت الشموع قد انطفأت.

لا أستطيع أن أرى شيء, ومازال جسدي غير قادر على الحركة أو حتى الصراخ, بدأت أرى نور منبعث من الحائط كأنه مصباح صغير يضئ ثم يطفيء, ولكن هناك أمر غريب لا أعتقد أن الشموع أنطفأت, إلاهي... إنني لست بالغرفة.

بعد بضع ثواني مرت كسنين طويلة وأنا غير قادر على الحركة من أثر الرعب ولا أستطيع التكلم، بدأت الإضاءة تزداد وتستمر لا تنطفئ؛ إنني في غرفة صغيرة كالعلبة مربعة الشكل حالكة السواد، حوائطها كانت مدهونة باللون الأسود أو في الأغلب إنها تشبه لون الثلاث أجسام التي رأيتها منذ قليل؛ معلق على جدرانها أسلحة مصنوعة من النار، مايضيؤها لم تك

كن مصابيح كما اعتقدت, إنها بعض الرموز التي تتوهج وتتضيء الغرفة, ولكن أنتظر تلك الرموز أنا أتذكرها جيداً.....

نعم قد علمت ذلك, إنها الرموز المحفورة على الصخرة التي توجد خارج القصر, كل ذلك وأنا لا أقوى حتى على الوقوع, لا أدرى, لماذا أنا مثبت هكذا وعلى الرغم من هول المنظر ما طمأنني قليلاً أنني لم أجد تلك الأجسام المرعبة, ولكن لم يدم ذلك كثيراً, رأيت أمامي

واحداً منهم هناك, واحد منهم أمامي مباشرة ينظر إلى عيني, ولكن ما هذا أنه لا يشبه الثلاثة الذين رأيتهم أمامي من يكون هذا؟ وهنا كانت الصدمة شعرت حينها أنني في كابوس حقيقي, إنه لا يشبههم، إنه يشبهني لا لا إنه.." أنا "

هناك خيط من الظلام يخرج من جسدي وتحديداً مكان قلبي يتصل ذلك الخيط بذلك الشيء الأسود الذي يشبهني وكأن ذلك الخيط يملأه. ازداد حجم ذلك الشيء حتي بلغ حجمي مرتين.

ولكن أخيراً وبعد معاناه استطعت تحريك جسدي.. أنتظر.. إنه يتحرك مثلي تماماً في كل حركة أفعلها كظلي؛ لكن كنت أتمنى أن يكون ذلك حقيقياً، لست أنا من يتحرك أنه هو من يتحكم بي, كل حركة يقوم بها يتحركها جسدي وكأنني أنا ظله؛ أنا الآن في موقف لا أحسد عليه, غرفة من الظلام بها أسلحة مصنوعة من النار ينيرها رموز غريبة وأمامي ذلك الكائن الذي يتحكم بي وأنا عاجز عن فعل أي شئ.

لكن صدقوني تلك لم تكن سوى البداية، بدأ ذلك الشيء يتحرك ويحركني معه ببطء, واتجهت إلى الأسلحة المصنوعة من النار فأمسكت سيف مشتعل وبدأ ذلك الشيء يحرك جسدي ببطء شديد ليجعلني أقطع أطرافي إلى قطع صغيرة, إنه الموت البطئ مع كل قطعة أقطعها من جسدي كانت النار تكوي الجراح حتى لا ينزف مع كل قطعة يقطعها أشعر بعذاب لا يتحمله أحد وفمي مغلق غير قادر حتى على

الصراخ و لا حتى عيناي قادرة على البكاء, جسدي رافض الحركة, كل ما يفعله هو تقطيع أعضائي ببطء شديد. إنه العذاب بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ بعد أن قطعت أطرافي وسقطت على الأرض نظر لي ذلك الشيء مبتسماً وبدأت تتغير هيأته لقد تحول إلى ذئب وبدأ يدور حول جسدي الممزق, ثم وقف بقدميه على صدري ونظر إلى عيني كثيراً مجرد نظراته وحدها تكفي لموتي خوفاً, بدأ يحفر بمخالبه في صدري وكأنها تربة يريد أن يحفر بها ليقضي حاجته, ظل يحفر بمخالبه حتى انتزع قلبي بأسنانه؛ آخر ما أتذكره كان قلبي وهو يمتص ذلك المخلوق بداخله ويتحول قلبي إلى اللون الأسود..... لقد فارقت الحياة.

الهدوء يسود المنزل وقد عاد الأخوين أمام الساعة بعدما يأسا من وجود أي مخرج من ذلك القصر اللعين كانت الدموع تتساقط من أعين إليزا بسبب الخوف و أخيها سيمون يحتضنها ويواسيها قائلاً:

- " لا تقلقي يا عزيزتي سوف نخرج من هنا "

قالت إليزا بصوت ممزوج بالبكاء:

- " لم نجد أى مخرج يا سيمون, ماذا سوف يحدث لنا؟ "

ثم اشتد بكاؤها وتابعت:

- " هل سنموت يا سيمون؟ لا أريد أن أموت الآن "

حاول سيمون أن يداعبها لكي يخرجها من ذلك الحال قائلاً:

- " لا يا عزيزتي لن تموتي, فالملائكة لا تموت.. ثم هناك فارس أحلام ينتظرك الآن "

ظلت إليزا تبكي متابعة:

- " إن قلبي يقول لي أننا لن نغادر هذا المكان يا سيمون, أنا لاأريد أن أموت "

أمسكها من كتفيها, وحاول أن يخفي الخوف الذي في عينيه, ومسح دموعها قائلاً:

- " في الصباح سوف يكتشف والدنا غيابنا, ولن يهدأ حتى يعرف مكاننا ويخرجنا "

ظهرت ملامح الحزن مجدداً على وجه إليزا مستعجبة:

- " والدنا.. إن والدنا لا يهتم بشيء سوى الأموال حتى إنه لا يأتي لزيارتنا عند والدتي إلا نادراً.. إنني أكرهه "

قاطعها سيمون مسرعاً:

- " لا يصح هذا يا إليزا إنه والدك "

أدارت إليزا وجهها, ووضعت يدها على صدرها حانقة:

- " ألا تتذكر ما فعله بوالدتنا؟ "

- " إليزا ألم تجهزي بعد, لقد اقترب موعد قدوم والدنا "

قالها سيمون منزعجاً من أخته التي كانت جالسة ووالدتها تمشط لها شعرها, كانت والدتهما تدعى ب "ماري", امرأة فاتنة جسدها ممشوق القوام, ليست كبيرة السن, تمتلك ابنتها عيناها الخضراء, قد ترى في تلك الأعين علامات الغرور لا الثقة, ردت ماري بدلاً عن إليزا قائلة:

- " أنا لا أدري ماهي فائدة تلك الزيارة التي يزورها لكما بعد أن تركتكما منذ أن كنتم صغار لأربيكم وحدي "
- " لن نعود إلى هذا الحديث مرة أخرى يا أمي "

رد سيمون حانقاً على كلام والدته, فقد كان يحب والده كثيراً حتى ناصرت إليزا كلام والدتها:

- " أنا لا أريد أن أقابله "

أخذها سيمون من يد والدتها واحتضنها معاتباً:

- " لا يصح أن تتحدثي هكذا على والدك يا صغيرتي, إنه يحبك كثيراً "

فقاطعته ماري سريعاً وصاحت به:

- " أنت دائماً تدافع عن والدك وهو لا يستحق.. لو كان يحبها كما تقول لما تركها وهي صغيرة لوالدتها "

نظر سيمون إلى والدته حانقاً وأشاح وجهه عنها, ثم طبق على شعر أخته بقبلة و قال لها أنه ينتظرها بالخارج حتى تنتهي.

بعدما خرج سيمون بدأ حوار بين ماري وإليزا التي قالت لوالدتها:

- " أصحيح يا أمي أن والدي يحبني؟ "

ضحكت ماري ساخرة وقالت:

- " إنك مازلتي صغيرة ولا تفهمين شيء, ذلك الحب مصطنع ولولا أن الناس سوف تمقته لما أتي ليراكم "

- " لماذا لم تتزوجي رجل يحبنا حقاً حتى لا أشعر أن والدي غير موجود عندما أحتاجه "

قالتها إليزا وقد سرقتها دموعها, فاحتضنتها ماري ورتبت على ظهرها قائلة:

- " لقد خدعت به كنت صغيرة السن مثلك حينما رأيته كان شاباً وسيماً وخفيف الظل، رأيت ما به من طيبة وحنان فوقعت بحبه, ولكن عندما تزوجنا وجدته قد اختلفت طريقته معي, دائماً شجار وسكر, وأنا كنت أحتمل من أجلكم كنتِ في ذلك الوقت قد اكتمل عمرك سنة حتى اكتشفت أنه يخونني, فلم أستطع أن اتحمل أكثر فصحت به ولكنه ضربني ثم طردني من المنزل فأخذتكم معي, وغادرت ومنذ ذلك اليوم لا أريد أن أراه مجدداً "

وهنا بدأت ماري بالبكاء فاحتضنتها إليزا ورتب على ظهرها قائلة:

- " أنا أحبك يا والدتي "

قاطعها دخول سيمون يطلب من إليزا الخروج لأن والدهما قد حضر

امسكت إليزا بيد سيمون وخرجا ليقابلا والدهما, كان والدهما أحد رجال الأعمال المشهورين, رجل يتسم بالهدوء يرتدي ثياب راقية ظهرت تجاعيد وجهه, فقد كان أكبر من ماري بعشر سنوات كان يدعى السيد "فرويد".

اقترب منه سيمون ورحب به بحرارة واحتضنه وقبله على عكس إليزا فقد كانت واقفة مقطبة وجهها, فاقترب منها والدها ومد يده ليسلم عليها قائلاً:

- " كيف حالك يا إليزا؟ "

لم تمد إليزا يدها واكتفت بقول:

- " بخير "
- " أصبحت جميلة كوالدتك في صغرها "

أشاحت وجهها قائلة:

- " والدتي التي تركتها في ربيع شبابها بعد أن مللت منها"

ظهرت على السيد فرويد علامات الأسى والحزن من موقف ابنته فوضع يده على كتفها قائلاً:

- " أنا أسف يا عزيزتي.. ولكنني أحبك كثيراً "

أبعدت يده عنها, ثم أنصرفت بعد أن قالت:

- " ولكني أكرهك "

- " لم يكن عليكي أن تفعلي هذا يا إليزا, أنتي لا تعرفي ماذا فعل والدنا من أجلنا, لقد.. "

لكن ليو قد قاطع كلامهما وقد دخل عليهما مهرولاً قائلاً:

- " أرأيتم مارجريتا "
- " من مارجريتا؟ أجننت يا ليو "

كانت تلك كلمات سيمون بعد أن رفع حاجبيه متعجباً, فحضرت في ذلك الوقت جوليا متعجبة هي الأخرى وقالت بلهجة الإتهام واضعة يديها على صدرها:

- " من مارجريتا هذه يا ليو؟ "

صمت ليو وقتها بعد أن فكر قليلاً, وظهرت علامات الفزع على وجهه وألقى سؤالا سريعا على جوليا:

- " أين ماركو يا جوليا؟ "

ارتبكت جوليا قائلة بصوت متردد:

- " لقد كنا نبحث على مخرج لهذا القصر الغبي, وافترقنا في الطريق "

فزع ليو ثم صاح بهم جميعاً:

- " ابحثوا عن ماركو بسرعة "

فزع الجميع لفزع ليو,فهم لم يعرفوا بماذا يفكر ليو, فلو عرفوا أنه كان يفكر أن عقاب الظلال قد بدأ لزاد خوفهم, ولكنهم استمعوا إلى كلامه وأنطلقوا باحثين عن ماركو.

[9]

- " أنا أحبك وهكذا أكون قد وفيت بوعدى بأنني سوف أثبت أنه يوجد حب صادق يمكن أن يضحي المرء من أجله بحياته "

ثم ينزل على ركبتيه وهو ينتظر الموت الذي يقف أمامه, وقد امتلئ قلبه بالحب الصادق ولم يعد يريد من الحياة سوى طلب واحد طلبه من حبيبته:

- " مرجريتا أريدك أن تكوني أخر ما أسمعه قبل أن أموت قوليها "

بكت مارجريتا بحسرة وكانت تعرف أنها سوف تكون أخر ما تقوله له, فقالتها من قلبها:

- " أحبك يا ليو.. أنا أحبك "

حاولت أن تصرخ وقتها مارجريتا لمنع والدها من قتل ليو, ولكن والدها لم يستمع لها فاقترب من ليو وتشكل على هيئة الظل, ثم وقع ليو على الأرض صريعاً.

صرخت مارجريتا باكية وقد وقعت على الأرض, فلم تحتمل قدميها أن تحملها بعد أن قُتل حبيبها أمامها وظلت تصرخ:

- " ليو لاااااا.. لماذا فعلت هذا يا والدي "

رفع الدون وجهه وقال بغضب:

- " إنني أحميك من سذاجة عقلك الصغير, ألم تتعلمي من خطأك السابق ألا تتذكري ألبرتو "

نظرت مارجريتا لجثة ليو باكية, وقالت في حزن:

- " لقد كان يريد أن يضحي لأجل أصدقائه.. إنه ليس كألبرتو "

هنا صاح الدون بولديه:

- " جايكب إيمت خذوها وقيدوها "

حملها أخويها فيما لم تكن قادرة على الحركة، فقد أحست أن روحها أنتزعت من بين ضلوعها فنظر إيمت لها محاولاً مواساتها:

- " أنا أسف يا أختاه فأنتي تعرفين لا نستطيع أن نعصي أوامر والدنا "

وجد سيمون وإليزا الغرفة التي قتل بها, وعندما دخلوا ليبحثوا عنه صرخت إليزا صرخة مدوية ثم احتضنت أخيها خوفا وهي مفزوعة وجسدها يرتعش مما رأته, نظر سيمون للداخل فرأى ماركو من خلال ضوء الشموع كان صريعاً على الأرض وعيناه جاحظتان كأنه يرى شيء مرعب. تحسس سيمون نبضه فعلم أنه قد مات فاحتضن أخته جيداً حتى لا ترى آثار الخوف على وجهه وأخرجها من تلك الغرفة فصاحت إليزا و هي تبكي:

- " لقد قلت لك أننا لن نخرج من هنا يا سيمون, سوف نموت "

ازداد بكائها وخوفها كلما تذكرت المنظر

حاول سيمون أن يهدؤها ويطمأنها, ولكن من يطمئن سيمون؛ لكنه حاول أن يتملك نفسه حتى لا تفزع أخته فابتسم قائلاً:

- " اهدأي يا عزيزتي لقد قلت لكي لا تقلقي لن يتركنا والدنا هكذا "

ازداد بكاء إليزا كأنها تلتقط أنفاسها الأخيرة قائلة بصوت متقطع:

- " إنه لن يبالي بشيء, ولن يبحث عنا, سوف نموت يا سيمون "

نظر لها سيمون وكان متردد لقول شيء ما ولكنه استجمع قوته وقال لها:

- " إليزا هناك شيء حان وقت أن تعرفيه لأنني أخشي ألا أجد فرصة أخرى لأقوله لكي "

" الفقرة القادمة على لسان سيمون "

كنتي في ذلك الوقت عمرك لا يتجاوز السنة, وكنت أنا وقتها ألعب في الفناء حين وجدت والدي قد دخل المنزل ووجدت بعدها شخص يخرج من المنزل وهو يركض, وسمعت صوت شجار بين والدي صعدت إلى الأعلي بدون أن يشعر بي أحدهما, وجدتهما يتشاجران, فقد اكتشف والدي أن زوجته تخونه, نعم لقد كانت ماري تخون والدنا وسمعتها تقول له:

- " لقد سئمت الحياة مع رجل يفوقني سناً لا يستطيع أن يشعرني بأنوثتي.. كل همك هو إدارة أعمال والدك "

ازداد الشجار حدته, فصاح بها قائلاً:

- " أليست تلك الأعمال التي جعلتك تسعين خلفي حتى جعلتيني أقع في حبك وأتزوجك "

أشاحت ماري وجهها وصاحت به إنها لم تعد تحتمل البقاء معه.

كان والدنا على الرغم من خيانتها يحاول جاهداً الحفاظ علينا لكي لا نربى من دون أم فاتفق معها أن يعطيها ذلك القصر الذي نعيش فيه وأن يرسل لها المال كل شهر على أنها تأخذنا معها وتربينا وكنت أقابل والدي كثيراً عندما كان يسافر خصيصاً لرؤيتي, وكثيراً ما سألني عنك, لم يستطيع أن ينسى ما فعلته ماري به كيف تخونه, لذلك لم يرغب في يوم من الأيام بمقابلتها.

كان ينتظر الموعد المحدد له من والدتنا بالزيارة لكي يراكي بفارغ الصبر, كان يعلم جيداً أنك لا تحبينه ولكنه كان يحاول أن يتودد إليك بكل الطرق إلى أن جاء يوم آخر مقابلة حينما قلتي له أنك تكرهينه يومها حزن حزناً شديداً وقال لي:

- " إن والدتك زرعت الكره في قلبها من صغرها "

حاولت أن أقنع والدى أن يخبرك بالحقيقة, أو يتركني أخبرك أنا فمنعني قائلاً:

- " لا أريد أن أشوه صورة ماري في عينيها.. كيف تكون إليزا صالحة وهي تعلم أن والدتها خانت أبيها, فإن كانت الشجرة فاسدة فكيف تكون الثمرة صالحة! أنا سوف أحتمل إلى أن يأتي ذلك اليوم الذي تنضج به الثمرة وتعرف الحقيقة "

- " احتضنت والدي ولأنه كاد أن يبكي وأوصاني أن أهتم بك وأكون أنا والدك وأخيكي "

هنا وقعت إليزا على الأرض وبكت بكاء شديداً وهي لا تصدق ما قصه عليها سيمون, وهي تقول:

- " لماذا يا أمي زرعتي كره والدي في قلبي, ألم يكفيك خيانته.. إنني أحبك يا والدي "

ثم نظرت إلى سيمون الذي جلس بجوارها, وأمسكت بملابسه وهي تبكي قائلة:

- " لا أريد أن أموت يا سيمون, ووالدي غاضب مني "
- " لا تقلقي يا عزيزتي والدك لن يغضب منك أبداً "

وتابع وهو يحاول أن يهدأها بعد أن احتضنها:

- " إهدئي إليزا سوف نخرج من هنا "
- " ماذا حدث يا سيمون سمعت صوت صراخ "

كانت تلك كلمات ليو الذي حضر مهرولاً عندما سمع صوت صراخ إليزا فأجابه سيمون بعد أن أشار إلى الغرفة:

- " إن ماركو قد مات "

أسرع ليو إلى الغرفة فوجد ماركو صريعاً؛ زاغ بصره وهو يكلم نفسه بصوت عالي قائلاً:

- " لقد بدأ عقاب الظلال "

سمعه سيمون فرفع حاجبيه متعجباً و سأله:

- " عن أي ظلال تتحدث يا ليو؟ "

قاطعتهم إليزا وقد تذكرت شيء, وفزعت منه فسألت ليو:

- " ليو أين جوليا لقد كانت بصحبتك "

اتسعت عين ليو وصاح بهم:

- " ابحثوا عن جوليا سريعاً قبل أن يتم عقابها من الظلال"

للمرة الثانية لم يفهم الأخوان ماذا يقصد, لكنهم تيقنوا أن جوليا في خطر فانطلو للبحث عنها.

هذه الفقرة على لسان الدون اليخندرو

كانت تلك البشرية تحاول الابتعاد عن باقى البشر الموجودين في القصر حتى لا ينكشف أنها على علاقة مع أول من عاقبناه, ولكن يالا سذاجة البشر. لم تعلم أن ما ينتظرها أقصى مما تتخيله, وهاهنا هو جزئي المفضل حين رأتنا نقف أمامها بهيئة الظل المخيفة.

عندما رأتنا تجمدت من أثر الرعب, فالجميع يظننا عفاريت, يالهم من حمقى هنا تبدأ مراسم نصب " محكمة الظل " محكمة الظل هي أحد الطقوس الخاصة بالظلال, التي نستخدمها لعقاب البشر إننا لا نقتل

البشر بل هم من يقتلون أنفسهم بظلام قلوبهم, بدأنا نردد التعاويذ الخاصة ب "محكمة الظل" وهي مازالت لا تقوى على الحركة وحتى وإن استطاعت.. هي الآن ليست في عالم البشر....

" محكمة الظل " هي غرفة تعذيب من نوع خاص مصنوعة من الظلام؛ ينيرها بعض الرموز التي تتوهج لأنها مصنوعة من النور, تلك الرموز كانت تعني باللغات القديمة " حاكم نفسك " وكل بشري يحاكم نفسه بطريقته الخاصة... أما هذه الفتاة

كغيرها من الذين دخلوا المحكمة حاولوا أن يستوعبوا الأمر واحسوا أنهم يحركون جسدهم داخل الغرفة إلا أن أمالهم تتحطم بعد ثواني قليلة حينما يجدوا ظلهم هو الذي يتحكم بهم.

لكي أشرح لكم الأمر ذلك الظل هو الظلام النابع من قلب البشر, يتصل ذلك الظل بقلب البشر ليغذيه, وحجم كل ظل يكون حسب حجم ظلام القلب؛ كان ظلام تلك البشرية يقارب لحجمها أو أكثر بقليل يتحكم بها تحكماً تاماً, أما الآتي فهو جزئي المفضل في العرض حين يعذب الظل صاحبه بالسلاح الذي كان يستخدمه في خداع الناس.

كانت تلك الفتاة تستخدم جسدها وجمالها لإغواء الشباب والاستيلاء على أموالهم, فكان عقاب ظلها هو الماء المغلي, والجميل في الأمر أنك تفعل كل شيء بنفسك دون أى مقاومة ياله من شيء ممتع حين ترى شخص يمسك سلاحاً ويقطع نفسه أو يقطع لسانه, والأجمل أن التعذيب يكون

بالحركة البطيئة, وتكون المحكمة حريصة على عدم موته, أنا أعترف أنه مشهدي المفضل .

تحرك ظل البشرية واتجه ناحية حمام الماء المغلي, ونزل جسمها بها. بالطبع لو كانت تمتلك القدرة على الصراخ لصرخت ولكن كم من قلب حطمته دون أن يتكلم, بدأ جلدها يتساقط وملامح جمالها تحترق وجلد وجهها يذوب لم يعد بها أي ملامح, أصبحت كالمسخ الذي تشمئز من رؤيته.

ويأتي آخر جزء من " محكمة الظل " ختام التعويذة يتحول الظل للشكل المناسب الخاص بحقارة البشر فهناك من يتحول إلى ثعلب فذلك يكون ماكراً بين الناس وخدع الكثير من الطيبين وهناك من يتحول ظله إلى ذئب دليل على دهائه الذي استخدمه في ايذاء غيره وهناك من يتحول إلى عقرب فذلك كان يبث السم بين الجميع, ولكن المشترك بين هؤلاء جميعاً أن النهاية واحدة, يقتلع الظل قلب ذلك البشري ويمتص القلب الظلام مرة أخرى.

أما تلك الفتاة فتحول ظلها إلى حية كبيرة, التفت حول جسدها الملقى على الأرض وضمتها بقوة فسمعت صوت طقطقات عظامها الذي أطرب أذاني, نظرت لها الحية في عينيها ثم غرست أنيابها في صدرها واقتلعت قلبها من مكانه ثم امتص قلبها ذلك الظلام.

عذراً أيتها البشرية, فظلام قلبك هو من قتلك, وتنتهي مراسم

[10]

- " والدي "

- " ماذا تريدين يا مارجريتا؟ "

أحس الدون بشيء غريب يحدث لمارجريتا وكان يتوقع ما تريد أن تخبره به, وبالفعل جاءت إجابة مارجريتا:

- " أريد أن تتركهم يرحلون في سلام يا أبي "

غضب الدون كثيراً من تلك الرغبة, فقد كان يكره البشر بمقدار ما كان يحب صوفيا, وكان يعتبر أي رغبة من أبنائه لمساعدة البشر تعتبر خيانة, وقد يصل عقابها للموت, فرد عليها بلهجة السخرية قائلاً:

- " منذ متى ومارجريتا تعود صاحبة القلب الرقيق بعد أن مات قلبها "

نظرت مارجريتا إلى الأرض وبنبرات الحزن قالت:

- " لقد سئمت يا أبى من هذا الطريق المليء بالدم "

صاح بها الدون قائلاً:

- " إن دماء البشر لا شيء لتشفقي عليهم, ثم إننا لا نقتلهم هم من يقتلون أنفسهم "

- " ولكن.."

قاطعها الدون وهو غاضب:

- " مرجريتا.... ألهذا علاقة بهذا البشري؟ "

اتسعت عينا مارجريتا وخرج منها ردها دون إرادتها:

- " ليو "

اقترب منها الدون وقال لها بنبرة لا تخلو من الغضب:

- " إننى أعلم كل مايدور بهذا المنزل, وأعلم عن اهتمامك به "

وضعت مارجريتا يدها على صدرها وكأنها تناجي نفسها بصوت مسموع :

- " لا أدري ماذا حدث لي منذ أول لحظة رأيته بها منذ أن كان
نائماً، لا أعلم ماذا حدث لي, شعرت بدقة في قلبي لم أشعر بها من قبل.. كنت خائفة شعرت بالأمان.. كنت تائهة ووجدت نفسي.. إنه حتى لم يتكلم.. أعتقد أنني أحبه يا والدي "

أمسك الدون كتفيها وقال معاتباً:

- " مـاذا هـل سـتحني إلـى ضـعف البشـر مـرة أخـرى؟ استيقظي مارجريتا أنت لستي بشرية بعد الآن "

ثم تابع ساخراً:

- " هذا الذى يجري في عروقه هى دماء البشر المخادعة إنه لا شـيء.. هل تعتقدي أنـه سيتحول إلـى ظل مثلك؟ هل تعتقدين أنـه يحبك.. لم يعد هنـاك مـا يسمى بالحب الصادق يا مارجريتا "

وضعت مارجريتا يدها على وجه الدون وهي تحاول إقناعه:

- " أنا لا أريده أن يتحول إلـى ظل مثلـي كل مـا أريده أن يظل على قيد الحياة أنا أشـعر بنـبض قلبـي بداخلـه.. أبـي لا تجعل كرهك لمن قتلوا والدتي يعميك "

صاح بها الدون قائلاً:

- " لا تحـاولي, جميـع البشر يجـب أن يعـاقبوا علـى مـوت صـوفيا حبيبتي.. إنها ماتت بغير ذنب "

حاولت ابنته أن تهدأه فامسكت يده قائلة:

- " ألا تتذكر أننا كنا بشر طيبين, كنت أنت رجل صالح وصوفيا والدتي كانت طيبة لابد أنه هناك بشر مثلنا لماذا لا نترك لهم الفرصة لعلهم يكونون صالحين "

أفلت الدون يدها وأدار جسده, وقال مصمماً:

- " لا تحاولي مارجريتا إنه قرار قد صدر "

اقتربت منه مرة أخرى ووضعت يدها على كتفه وهمست له برقة:

- " ألا تتذكر ماذا كانت تقول والدتي دائماً؟ "

- " بص يا إيمت عشان منخسرش بعض اعترف بعملتك بدل ما هعمل معاك السليمة "

قالها جيكاب وهو يمسك برقبة أخيه الذي قال:

- " اخص عليك يا جيكاب أنت بتشك في أخوك الكبير "

- " دا أنا أشك في أبويا نفسه اطلع ياض بالحاجة السقعة الي كانت في التلاجة "

- " ياسطا عيب عليك.."

رأي إيمت حينها والده يمسكها بيده, فأشار لجيكاب قائلاً:

استني بص أهي هناك في إيد أبوك أهو

قطب جيكاب وجهه وشمر عن ساعديه وقال غاضباً:

- " لا مش أنا اللى أتقلب في البيت دا قول على أبوك يا رحمن يا رحيم "

اتجه جيكاب ناحية والده الذي كان يبدو عليه الغضب ويفكر بأمر ما، كأنه سينفجر غيظاً, فاقترب منه جيكاب بعد أن كشر عن أنيابه قائلاً:

- " بقولك إيه يا حج كنت عاوزك في موضوع كدا "

رد عليه والده صائحاً:

- " ماذا تريد؟ "

- " لا يا حج كنت بقولك بس بالنسبه للحاجة السقة بتاعتي الي فأيدك دي "

نظر له والده غاضباً فتابع جيكاب مسرعاً:

- " لا ياحج كنت عاوز أقولك بالهنا والشفا "

ثم عاد جيكاب خائب الأمل مرة أخرى لأخيه إيمت الذي سأله:

- " ها يا دكر مجبتهاش ليه "
- " لولا إنه راجل كبير قد أبويا كنت ضربته.. أوعى تقوله لينفخني "

ضحك إيمت فقاطع ضحكه نداء والدتهم بأن يذهبوا لتناول العشاء, وجدت صوفيا زوجها يجلس وحيداً شاغر التفكير, وهو غاضب على غير عادته, ذهبت ووقفت خلفه ووضعت رأسها على كتفه هامسة له بأذنه:

- " لقد قلت لي في يوم أن ذلك الوجه لن يكف عن الابتسام طالما أنا بجواره "

ثم تابعت بعد أن تحركت وجلست على رجليه واصطنعت الحزن:

- " أرى أنك قد غيرت رأيك, لم يعد وجودي يسعدك "

وضع الدون يده حول رأسها وضمها إلى صدره, ثم أخرج زفيره قائلاً:

- " كيف ذلك إن وجودك وحده كفيل بأن يجعلني أسعد من بالأرض.
- " ..ولكنها بعض الأمور بالعمل التي تشغل تفكيري قليلاً"

ردت عليه مداعبة كالأطفال:

- " وهل لزوجتك المشاكسة أن تتدخل في شئون العمل العسكري؛ لترى ما هذا الشيء الغبي الذي يجعل حبيبها غاضب إلى هذه الدرجة "

ضحك الدون ورد عليها مداعباً:

- " أمرك يا سيدي الجينرال فأنا طوع خدمتك "

ضحكت صوفيا وأشارت بيدها بطريقة عسكرية لكي يتابع كلامه فتابع قائلاً:

- " إنها بعض الأمور الخاصة بالجيش قد اخطأ بها مجموعة من العسكريين الجدد.. العمل في الجيش لا يحتمل أي خطأ وقد يعاقبني القادة على ذلك الخطأ "

حكت صوفيا رأسها وقالت مستفهمة:

- "وماذا فعلت معهم اذن؟ "
- " بالطبع عاقبتهم ووضعتهم في السجن العسكري حتى يتحملوا خطأهم وعندما أهدأ سوف أخرجهم "

نظرت صوفيا في عيني الدون معاتبة:

- " لماذا يا عزيزي لقد حدث ما حدث قد تكون الآن زوجاتهم تنتظرهم لتناول العشاء سوياً أو ليلاعبون أطفالهم "

ثم وقفت وقامت بأداء التحية العسكرية والتكلم بالطريقة العسكرية قائلة:

- " العفو عند المقدرة يا سيد دون إليخندرو؛ قرار قد صدر من السيدة صوفيا أن يعفو الدون اليخندرو عن هؤلاء المساكين ليعودوا إلى زوجاتهم وأولادهم "

ضحك الدون بصوت عالي واحتضن زوجته قائلاً:

- " حسنا أيها الجينرال علم وينفذ.. العفو عند المقدرة "
- " كانت دائماً تقول لك عزيزي العفو عند المقدرة تذكر ذلك دائماً "

فكر الدون اليخندرو لبعض الوقت بعد كلمات ابنته, ثم عاد إلى الوجه الغاضب مرة أخرى قائلاً:

- " ليس هناك عفو لهؤلاء البشر, لقد أخذت قراري إنهم جميعاً.. أموات "

غادر الدون إليخندرو, وظلت مارجريتا تبكي وحيدة حتى سمعت صوت يقترب منها وينادي عليها إنه ليو الذي كان يبحث عنها في كل أرجاء المنزل

ثم قال لها وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة من أثر الهرولة:

- " مرجريتا كنت أبحث عنك... ماركو قد قتل وجوليا نبحث عنها ولا نجدها "

ضمت مارجريتا قدميها على صدرها وهي تبكي قائلة:

- " وقتلت جوليا ولن يتوقف والدي حتي يقتلكم جميعاً "

فزع ليو من خبر موت جوليا وجلس وفكر بعد الوقت غير قليل بين تردد في أفكاره فنظر إلى مارجريتا قائلاً:

- " سوف أضحي بحياتى لأجل أصدقائي مرجريتا.. أرجوكي أريد أن أقابل والدك "

اتسعت عينيها وقالت ساخرة:

- " كفاك غباء والدي بكل الأحوال سوف يقتلكم جميعاً "

- " أرجوكي أريد أن أقابله حتى لو كان هناك فرصة صغيرة؛ لأنقذ أصدقائي أريد التحدث معه "

نظرت له مارجريتا غاضبة وصاحت به:

- " ما هذا الغباء اتضحي لأجل أصدقائك, أليس هؤلاء الذين خدعوك "

ابتسم ليو وصرح على أنه جاد في كلامه, فوقفت مارجريتا خائفة وقالت وهي تغادر:

- " لا أستطيع أن أراك وأنت تموت.. لا أستطيع سوف يقتلك فورا "

اختفت مارجريتا من أمامه مرة أخرى, وهنا كانت المفاجأة.....

للمرة الثانية يسمع صوت صراخ في أرجاء المنزل, إنها إليزا, قد وجدت جوليا هي الأخرى ميتة مثل ماركو واقعة على الأرض وعينيها

جاحظة من الرعب وكأنها ماتت خوفا وهنا جاءت كلمات إليزا المتقطعة من البكاء:

- " لقد جاء دورنا يا سيمون لقد حانت ساعتنا سوف نموت يا أخي "

لا أكذب عليكم لم يحتمل سيمون كل ذلك الخوف فهو أيضاً يعلم أن نهايتهم قد اقتربت ولكنه يريد طمأنة أخته, فقال بصوت متردد:

- " لن يصيبنا ضرر عزيزتى اهدأي "

على الرغم من حفاظ سيمون على أعصابه إلا أن إليزا شعرت بالخوف في عينيه فقالت:

- " سيمون لا تكذب علي يكاد الخوف يظهر في عينيك "

احتضنها سيمون سريعاً, وهو يقول بصوت عالي كأنه يتحدى القصر قائلاً:

- " لن يصيبك مكروه عزيزتى طالما أنا على قيد الحياة.. لا تقلقي لا تقلقي "

وصل ليو مهرولاً إليهم بعد أن سمع صراخ إليزا مجدداً قائلاً:

- " ماذا هناك؟ ماذا حدث؟ "
- " لقد قتلت جوليا هي الأخرى لم يظل سوانا نحن يا ليو"

قالها سيمون والفزع قد غلبه, ولم يعد يستطيع أن يخفي خوفه.

تمتم ليو ببعض الكلمات غير المفهومة وضح منها فقط:

- " لن يتركنا الظلال حتى نهلك جميعاً "

ظل ليو يفكر وسيمون يحاول أن يتمالك نفسه وإليزا لا تكف عن البكاء والامساك بأخيها بقوة

حتى قاطعتهم مارجريتا في عجلة قائلة بصوت منخفض:

- "هيا أسرعوا قبل أن أغير رأيي.. سوف أخرجكم من هنا هيا أسرعوا "

- " من هذه "

في حالة من التعجب والدهشة جاء سؤال إليزا, كان الاخوان مندهشان, فهم لا يعرفون أن هناك أحد غيرهم بالمنزل أما ليو فقد اتسعت عيناه وتعجب كثيراً فهو يعرف جيداً أن ما تفعله مارجريتا الآن تعد خيانة لوالدها, وقد يكون عقابها الموت.

قال ليو بصوت متردد:

- " هذه مارجريتا ابنة الدون إليخندرو مالك هذا القصر "

ثم اقترب من مارجريتا وتابع قائلاً:

- " لماذا تفعلي هذا مرجريتا وأنتى تعلمي أن والدك سوف يعاقبك؟ "

لم تهتم مارجريتا لسؤال ليو فتابعت مسرعة:

- " هيا ليو ليس هناك وقت للحديث فلنذهب قبل أن يأتي أخوتي "

أمسك ليو يدها قبل أن تنصرف, ونظر لعينيها قائلاً:

- " لن أتحرك من هنا قبل أن أعلم لماذا تفعلي هذا؟ "

مرت لحظات من الصمت, ليو ينظر إلى مارجريتا والأخوان ينظران إليهما وعلامات التعجب تظهر على ملامحهما فكرت مارجريتا قليلاً ثم نظرت إلى الأرض

وقالت باستسلام:

- " لأن غباء البشر لازال بعقلي و لم يمت بعد "

ثم نظرت إلى ليو الذي ظهر على وجهه الابتسامة فضغطت على يد ليو مترجية:

- " أرجوك يا ليو هيا أسرع "

أشار ليو إلى الأخوين أن يتبعاهما لكي يخرجوا من القصر, أوصلتهم مارجريتا إلى المخرج وودعت ليو وعادت إلى داخل القصر لتنتظر عقاب والدها التي كانت تعلم جيداً أنه سوف يكون قاسي.

[11]

هرب الثلاثة ولم يبق في القصر سوى الظلال، تعلم مارجريتا جيداً أن والدها سوف يعلم وسوف يقع عليها عقابه بسبب خيانتها.

بدأ الأخوان الأحمقان بالبحث عن البشر لكي يكملوا مهمتهم فقال إيمت:

- " فين البونى أدمين اللى كانوا هنا يلا "
- " ياااااختي "

إيمت يفتح الدواليب و يبحث في فاظات الورد

فتابع جيكاب ضاحكاً:

- " أنت بتدور فين يا أهبل "
- " قلت يمكن أبوك الحج سخطهم ولا أي حاجة "

اعتدل جيكاب ثم قال بفرحة

- " أنا عندي ليك خبر حلو "

اقترب منه إيمت فرحاً قائلاً:

- " قول يا جكجوكة يا حبيب قلبي.. أهم حاجه فيها فلوس"

ضحك جيكاب وقال بكل ثقة:

- " أحب أبشرك كدا من الواضح إنهم هربوا "

لطم إيمت خديه وقال صارخاً:

- " احييه يا أبو سوسه احيييه أبوك هيعلقنا "

- " طب ياريت تيجي على كدا بس "

- " طب هنتصرف إزاي دلوقتي "

التفت جيكاب حوله ليتأكد من عدم وجود أحد معهم ثم أمسك برقبة إيمت وهمس له في أذنه:

- " إحنا نقول للحج إن إحنا قتلناهم وخلاص "

- " ولما يسألنا عن الجثث هنقوله إيه "

غير إيمت لهجته وتكلم من أنفه متابعاً:

- " الجثة بتتحنك يا معنمي "

حك جيكاب رأسه ثم قال باستسلام:

- " مـا إحنـا ظـلال بئـا أكلنـاهم.. سـخطناهم.. أي حاجـه يعني"
- " يابنى إحنا ظلال مش عفاريت "

حك جيكاب وقال مستفهماً:

- " أيوا يعني إيه.. هتفرق في إيه "

- " أنـت عبـيط.. مفـيش حاجـة اسـمها عفاريـت... دى حاجات بيضحكوا بيها عالعيال الصغيرة يا أهبل "

ضحك جيكاب ساخراً وقال بجديه:

- " آه صـح فـاتتني دي.. فـي ظـلال إنمـا مفـيش عفاريـت إزاى فاتتني دي "

اعتدل إيمت ورفع صدره, وقال واثقًا:

- " احنا أول مـا يجـي الحج أبوك نقولـه الحقيقة.. أه إحنـا هنخاف ولا إيه أول ما يجي نقوله على طول "

- " إحم طب متعرضهاش "

- " لاا خلاص زمن الخوف أنتهي "

- " إيمت جيكاب "

كانت تلك نداءات الدون إليخندروعند وصوله همس إيمت إلى جيكاب مترجياً:

- " متقولش وحياة أمك.. استر عليا دا إحنا ولايا زي بعض "

صاح بهم الدون قائلاً:

- " أين هؤلاء الحمقى اقتلتموهم جميعاً "

ارتبك الأخوان ودفع بعضهما الآخر ليتكلم إيمت بتوتر:

- " بالطبع يا والدي لقد قتلناهم لكن.. "

شعر الدون أن هناك أمر غير طبيعي يجري في المنزل فصاح بهم:

- " تحدثا ماذا هناك؟ "

دفع إيمت بجيكاب للأمام وقال:

- " جيكاب يريد أن يخبرك بشيء "

ارتبك جيكاب, ونظر إلى إيمت قائلاً:

- " يا معلمي يا عيل.. استني بئا لما أشوف هتصرف مع الضرفة إلى قدامي دي إزاي "

عدل جيكاب ملابسه, واعتدل في وقفته, واقترب من الدون, ووضع يده على كتف والده وقال بجدية:

- " بص يا حج أنا هقولك حاجة بس مش عاوز مد ادين وقفقله أدب وكلام من دا "

صاح به الدون غاضباً:

- " كفاكم تحدث بهذه الطريقة الغريبة أيها الحمقى.. أريد أن أعلم الآن ماذا يجري في هذا القصر؟ "

ابتعد جيكاب عن والده واختبأ خلف إيمت وقال:

- " لقد هربوا جميعاً يا أبي "

صرخ الدون صرخة مدوية اهتز لها المنزل ثم أمسك بولديه وقد قطب وجهه وصاح غاضباً:

" كيف حدث هذا؟ لابد أن هناك من ساعدهم "

ارتعب الأخوان وقال إيمت والدون ممسك بهما:

- " إهدى يا حج هتضيع مستقبلك عشان عيال تافهة زينا "

وتابع جيكاب وهو مفزوع:

- " دا شيطان يا حج الله اكبر الله اكبر.. كبرله فودنه يا إيمت "
- " أنا يا والدى قد ساعدتهم "

قالتها مارجريتا, وقطعت وصلة الشجار بينهم, أفلتهم الدون ونظر إلى مارجريتا وهو حانق وقال غاضباً:

- " كيف تتجرأي على خيانتي؟ "

نظرت مارجريتا إلى الأرض وقالت بنبرة الحزن:

- " لم أحتمل يا والدي أن أرى من أحببت يقتل أمام عيني وأنا التي قتلته "

أمسك الدون يد ابنته بقوة ودفعها, فوقعت على الأرض وصاح بها:

- " تحبيه... يا لكي من طفلة ساذجة "

أمسك الدون شعرها وجذبها منه وقال غاضباً:

- " وياله من قلب أحمق وسهل الخداع لقد خدعك لكي يهرب "

ثم أفلت الدون شعرها, ووقف و نظر إليها قائلاً:

- " سوف تنالين العقاب المناسب "
- " توقف "

كانت تلك الكلمة من آخر شخص قد توقعه الدون ومارجريتا أن يكون موجود في ذلك الوقت إنه ليو

الذي قرر أنه لن يغادر ويترك حبيبته قبل أن يعترف لها بحبه و لن يتركها لتنال العقاب وحيدة.

نظرت مارجريتا إلى والدها الذي ظهرت على وجهه ابتسامة الشر, ثم نظرت إلى ليو وصاحت به:

- " ليو لماذا لم تهرب أيها الأحمق؟ "

مسرعة لمحاولة منعه, ولكن الدون أشار لأبنائه أن يمسكاه فأسرع الاثنين وامسكوه, وأصبح ليو أمام اليخندرو وجهاً لوجه, فنظر ليو إلى مارجريتا قائلاً:

- " اتركيه يا مرجريتا أنا لا أخافه "

ضحك الدون إليخندرو ساخراً من جرأته قائلاً:

- " يالك من فتى أحمق, لا تعرف ماذا تواجه, وعقاب هذه الحماقة هو الموت "

- " أنا لم أعد أخاف الموت بعد الآن "

ثم نظر إلى مارجريتا التي كانت تبكي, وقال لها كأنه يعرف أنها كلماته الأخيرة:

- " مرجريتا شكراً لكِ على إنقاذ سيون وإليزا, ولكني عدت لأنني نسيت أن أقول لكِ شيء "

أخرج زفيره وابتسم قائلاً:

- " أنا أحبك وهكذا أكون قد وفيت بوعدى بأنني سوف أثبت أنه يوجد حب صادق يمكن أن يضحي المرء من أجله بحياته "

و ينزل على ركبتيه وهو ينتظر الموت الذي يقف أمامه, وقد امتلأ قلبه بالحب الصادق, ولم يعد يريد من الحياة سوى طلب واحد طلبه من حبيبته:

- " مرجريتا أريد أن تكون آخر ما أسمعه قبل أن أموت قوليها "

بكت مارجريتا بحسرة وكانت تعرف أنها سوف تكون آخر ما تقوله له فقالتها من قلبها:

- " أحبك يا ليو.. أنا أحبك "

حاولت مارجريتا أن تصرخ وقتها لمنع والدها من قتل ليو, ولكن والدها لم يستمع لها فاقترب من ليو وتشكل على هيئه الظل, ثم اتسعت عيناه كان هناك أمر غريب يحدث, ثم وقع ليو على الأرض صريعاً

صرخت مارجريتا باكية وقد وقعت على الأرض, فلم تحتمل قدميها أن تحملها بعد أن قُتل حبيبها أمامها وظلت تصرخ:

- " ليو لاااااا.. لماذا فعلت هذا يا والدي؟ "

رفع الدون وجهه وقال بغضب:

- " إننى أحميك من سذاجة عقلك الصغير, ألم تتعلمي من خطأك السابق ألا تتذكري ألبرتو "

نظرت مارجريتا لجثة ليو باكية وقالت في حزن:

- " لقد كان يريد أن يضحي لأجل أصدقاءه.. إنه ليس كألبرتو "

هنا صاح الدون بولديه:

- جايكب إيمت خذوها وقيدوها.

حملها أخويها وذهبا بها بعيداً عن والدهم, فهي لم تكن قادرة على الحركة فقد أحست أن روحها انتزعت من بين ضلوعها, فنظر إيمت لها محاولاً مواساتها:

- " أنا أسف يا أختاه, فأنتي تعرفين نحن لا نستطيع أن نعصي أوامر والدنا "

حينها لم تشعر مارجريتا إلا بالنار التي ملأت قلبها, لك أن تتخيل أن من تحب قتل أمام عينك وأنت من قتلته لم يشفع لليو حب مارجريتا له بل بالعكس كان ذلك سبباً كافياً

[12]

وقف الدون بعض الوقت ليس بالقليل مستغرق التفكير بأمر ما, من الواضح أنه يفكر بأمر يرهق تفكيره, ثم نظر حوله ليتأكد من عدم وجود أحد من أبنائه ثم قال بصوت مسموع:

- " يمكنك النهوض الآن "

نعم حدث ما تفكرون به قام ليو من على الأرض وانحني للدون قائلاً:

- " أسف لم أستطع أن أنفذ ما طلبته مني يا سيدى "

- " ارجوكي أريد أن اقابله حتي لو كان هناك فرصة صغيرة لأنقذ أصدقائي أريد التحدث معه "

نظرت له مارجريتا غاضبة وصاحت به:

- " ما هذا الغباء اتضحي لأجل أصدقائك أليس هؤلاء الذين خدعوك "

ابتسم ليو وصرح على أنه جاد في كلامه, فواقفت مارجريتا خائفة, وقالت وهيا نغادر:

- " لا أستطيع أن أراك وأنت تموت.. لا أستطيع سوف يقتلك فوراً "

اختفت مارجريتا من أمامه مرة أخرى وهنا كانت المفاجأة.....

استمع ليو إلى صوت خفيف يكاد يهمس في أذنه ذلك الصوت كان يقول:

- " من أنت لتتجرأ على طلب مقابلتي "

ارتعش جسد ليو من أثر ذلك الهمس الذي لم يعلم من أين يأتي, فالتفت حوله فلم يجد أحداً, ثم سمع ذلك الصوت مرة أخرى, ولكن بشكل أوضح نظر ليو خلفه فوجد وجهاً مرعباً يبتعد عن وجهه بضع سنتيمترات فاندفع ليو إلى الخلف واقعاً على الأرض من اثر الرعب.

كان ذلك وجه الدون إليخندرو الذي كان يرمقه بعينان تكاد تحرقانه فصاح الدون هذه المرة بصوت عالي أرعب ليو قائلاً:

- " من أنت لتتجرأ على طلب مقابلتي "

حاول ليو أن يقف في مكانه بصعوبة إلا أن فاجئه ابنا الدون بحركة سريعة في لمح البصر قد أمسكا ليو وجعلاه ينحني للدون.

- أمامك دقيقة قبل أن تموت يمكنك أن تقول آخر كلماتك

قالها الدون وهو يعطي ظهره إلى ليو, مبتعداً عنه ببعض الخطوات التي ثبتتها رد ليو وهو يقول:

- " لن تقتلني "

توقفت أقدام الدون عن التحرك وفي لحظة كان الدون ممسك برقبة ليو ورافعه إلى الأعلى وقدما ليو معلقة في الهواء وقال الدون غاضباً:

- " أتستهزء بي أيها الأحمق ، إنني أستطيع قتلك فوراً"

حاول ليو أن يلتقط أنفاسه, ويحاول أن يتكلم بصعوبه:

- " لن تقتلني لأن مارجريتا أحبتني "

- " أعتقد أن ذلك يجعل رغبتي في قتلك تزداد "

- " إذا كنت تريد أن تقتلنى فاقتلنى, ولكن اترك أصدقائي ولا تؤذي مرجريتا "

قالها ليو وهو يلتقط أنفاسه ويسعل من أثر قبضة الدون عليها

أفلت الدون قبضته فوقع ليو على الأرض وهو يسعل, ابتعد الدون بعض الخطوات مفكراً والأخوان ينتظران أمر من والدهم اذا أراد القضاء على ليو فقال الدون بتعجب:

- " لماذا تهتم بمرجريتا؟ "

لم يكن ليو خائفا من الموت حينها ولم يكن خائفاً من الإعتراف بحبه حتي أمام الدون فرد عليه:

- " منذ أن أتيت إلى هذا المنزل وقد علمت معنى الحب الحقيقي ورأيته في عين ابنتك مرجريتا "

تابع ليو بابسامة ساخراً من نفسه:

- " وعلمت أن جوليا لم تكن حبيبتي بل كانت مخادعة "

صاح به الدون قائلاً:

- " أنت تقول هذا الكلام لأنك على حافة الموت, لا يوجد في عالمكم ما يسمي بالحب الصادق "

- " لماذا ألم تكن تحب صوفيا؟ "

نزلت كلمات ليو على قلب الدون كالصاعقة كأنه تذكرها, برقت عينيه بالدموع لولا أنه منعها وقال:

- " لم يكن هناك من يحب مثلي, لقد عشقت صوفيا كانت كل شيء بالنسبة لي, ولكن عندما قتلها البشر الحمقى, قررت أنني سوف أعاقب كل البشر حتى لو كانت ابنتي سوف تُضر "

ضحك الدون بعدها محاولا إخفاء مشاعره وتابع:

- " وذلك لا يمنع أنني أشك بأنك تحبها وليس من أجل أن تخرج من هنا على قيد الحياة "

وقف ليو وقال بجرأة وكأنه ينتظر الموت:

- " ولهذا أنا أريد أن أضحي بحياتى لأجل مرجريتا وأصدقائي, اقتلني ولكن اتركهم وشأنهم "

اقترب الدون من ليو بخطوات ثابته, وقد تحول إلى مظهر الظل, فعرف إيمت وجيكاب أنه سوف يقتله ولكنه عاد مرة أخرى للهيئة البشرية قائلاً:

- " سوف أعقد معك اتفاق "

نظر له ليو بعد أن ابتلع ريقه وأخذت أنفاسه تتلاحق, وهو ينتظر اتفاق الدون الذي قال:

- " سوف أعفو عنك وعن أصدقائك مقابل أن تعترف أمام مرجريتا أنك لا تحبها "

كان ذلك الاتفاق لإرضاء شيء بداخل الدون, أنه يريد أن يثبت أنه لا يوجد ما يسمي بالحب الصادق الذي يمكن للمرء أن يضحي بحياته من أجله وأنه في وجود الموت قد يضحي المرء بأي شيء لكي يعيش حتى لو كان حبه.

إجابة ليو أسعدت الدون لأنه أعتقد أنه كسب الحرب عندما وافق ليو على الاتفاق ولكنه لم يكن يعلم أن ليو وافق على ذلك الاتفاق من اجل إنقاذ أصدقائه فقط لا من أجل نفسه...

"أسف يا سيدي لم أستطع أن أنفذ الاتفاق"

لأسهل عليكم الأمر كان ليو سينفذ الاتفاق الذي كان بينهم بأنه يعترف أمام مارجريتا أنه يجعلها تحبه من أجل أن يخرج من القصر ولكنه كان سيفعل ذلك فقط من أجل إنقاذ أصدقاءه ولكن بعد أن أنقذتهم مارجريتا, لم يستطع ليو تنفيذ الاتفاق, ولم تكن حياته مهمة بقدر ذلك الاعتراف الذي اعترفه أنه يحبها .كان يظن في ذلك الوقت أن الدون سوف يقتله .

لكن حدث عكس ماتوقع, فمن الواضح أن الدون لم يرض بتلك النهاية فهو لا يريد أن تكرهه ابنته بل يريد أن تكره ليو وتنسي معنى الحب؛ في ذلك الوقت وقف الدون الذي أدار وجهه وقال غاضباً:

- " لقد أخلفت الاتفاق ومع ذلك لم أقتلك لأن هناك اتفاق آخر أريدك أن تنفذه "

لم تعجب ليو النبرة التي قال بها الدون تلك الكلمة, وتوقع حينها أن هناك شيء أصعب له من الموت؛ ابتلع ليو ريقه وقال بصوت خافت متردد:

- " أي اتفاق؟ "

اقترب الدون من ليو وظهرت إبتسامة على وجهه لم يطمئن لها ليو وهمس له في أذنه:

- " تقتل الأخوين "

اتسعت عينا ليو من أثر المفاجأة لم يكن يتوقع ذلك الطلب من الدون, ولكن ليو لم يتردد في الإجابة التي كانت:

- " ماذا تقول... بالطبع لن أفعل ذلك حتى لو مقابل حياتي"

لم يظهر على وجه الدون أي تغير في ملامحه سوى اتساع ابتسامته على غير المتوقع من الدون الذي رد عليه قائلاً:

- " ومن قال أن ذلك الاتفاق مقابل حياتك أنت؟ "

رفع ليو حاجبيه متعجباً وقال في حيرة:

- " لم أفهم قصدك "

ضحك الدون هذه الضحكة ساخراً من ليو ووضع يديه خلف ظهره وكأنه سوف يتكلم كلام منطقي قائلاً:

- " تقول أنك قد تضحي بأي شيء مقابل حبك لابنتي.. وأنك ترغب بالتضحية بحياتك مقابل حياة أصدقائك "

اتسعت ابتسامة الدون وهو ينظر إلى ليو متابعاً كلامه:

- " وفي هذه الدنيا عزيزي لا يستطيع المرء أن يحصل على كل ما يريد.. أما أنا فرجل كريم وسوف اترك لك مطلق الحرية, الإختيار بين ما تحب "

بدأ ليو يفهم قصد الدون ولكنه يحاول إبعاد الأفكار التي تدخل عقله, فبالطبع لن يطلب منه الدون أن..

قاطع الدون تفكير ليو بالإجابة القاطعة على التساؤلات التي تدور في عقله قائلاً:

- " حياة أصدقائك.. أو.. حياة حبيبتك "

اتسع عينا ليو وابتلع ريقه وهو ينظر إلى الدون الذي بدت على ملامحه الجمود علم وقتها أنه لا يمزح، هو جاد في كلامه

هنا دار في عقل كل منهما حوار؛ في عقل ليو كانت الدهشة والمفاجأة مسيطرة على تفكيره فلم يكن يصدق الذي سمعه, حياة أصدقائه مقابل حياة مرجريتا.. أحقا يمكن أن يقتل ابنته من أجل عقابي.. أم أنه يريد أن يختبر حبي.. أم ماذا؟

أما عقل الدون إليخندرو لم يكن يريد بذلك الطلب إلا أن يثبت لابنته أنه لا يحبها وكان يعلم جيداً أن ليو سوف يختار حياة أصدقائه

قاطع تفكير الإثنين الذي استمر بعض الدقائق القليلة صوت مسموع من ليو كانه يحدث نفسه قائلاً:

- " اقتل إليزا وسيمون ولا تقتل مرجريتا "

التفت ليو إلى الدون وقال متوسلاً:

- " إننى لا أستطيع أن أقتل أصدقائي, اقتلنى أنا أرجوك واتركهم وشأنهم "

قطب الدون وجهه وصاح:

- " إذن فقد اخترت "

نادى على ولديه إيمت وجيكاب وأمرهم بإحضار مارجريتا لكي يريها أنه لا يحبها ويفضل اصدقاؤه عليها

اتسعت ابتسامة الدون وهو يخاطب ليو مستنكراً من إخياره وقال:

- " كيف تسمي ذلك حب وأنت تفضل حياة أصدقائك على حياة
- " حبيبتك.. لقد بانت حقيقتك أنك لا تحبها "

لم يعرف ليو وقتها ماذا يفعل هل من المعقول أن يقتل ابنته من أجل إثبات ما يدور في عقله أم إنه سوف يقتله هو بعد أن يثبت لمرجريتا أنه لا يحبها.

إلا أن رد ليو كان رداً غير متوتر, رفع رأسه وقال وعيناه تلمعأن بالدموع:

- " أنا لم أختار بل مارجريتا من اختارت.. لقد اخترت الأمر الذي اختارته مرجريتا.. لقد فضلت حياة اصدقائي علي حياتها.

وتابع وهو ينظر إلى القمر من سقف القصر:

- " لأنها قد علمت أن السعادة في سعادة الآخرين حتى وإن كان على حساب سعادتها "
- " إذن لقد حكمت عليكما بالموت "

قالها الدون وهو غاضب وأحمر وجهه, كان الدون في ذلك الوقت على استعداد لفعل أي شيء ليثب ما بداخله حتى لو كانت المقابل ابنته.

أحضر إيمت وجيكاب أختاهما التي كانت كالجثة الهامدة لا تحرك جفن ولا تتكلم كأن أحدهم أنتزع منها روحها لم تقوى على الحركة فحملها

أخويها وكل ما تفكر به هو مشهد قتل ليو الذي جرى أمام عينيها منذ قليل.

إلا أنها عندما رأت ليو كأن روحها عادت إليها فجأة, فأفلتت من يد أخويها وأسرعت إلى ليو واحتضنته وهي تصرخ فرحاً قائلة:

- " ليو أنت لم تمت.. لم تمت "
- " سامحيني مرجريتا لقد خيرت بين حياتك وحياة أصدقائي ولم استطع أن أختارك وأقتل أصدقائي "
- " لا عليك يا عزيزي "

قالتها مارجريتا وهي تنظر لعيني ليو إلا أن الدون قد أبعد بينهما ودفع ليو وأشار إلى إيمت وجيكاب فأمسك إيمت مارجريتا وأمسك جيكاب ليو وصاح بهما الدون أن يقتلا ليو ومارجريتا إلا أنه قد وجد الصمت خيم على المكان, فلم يطعه إبناه إلا أنه أعاد الأمر بصيغة أشد وصوت أعلى قائلاً:

- " ألم أقل لكما اقتلوهما "

تردد الأخوان حتى استجمع إيمت قواه وتجرأ وترك أخته قائلاً:

- " آسف ياوالدي لا أستطيع أن أقتل أختي "
- " لقد سئمت القتل يا والدي, لو كانت والدتنا على قيد الحياة لن تكن راضية عن حالنا هذا "

قالها جيكاب متمماً لكلام أخيه بعد أن ترك ليو من الواضح أنهم سئموا حياة القتل, لم يعد أيا منهم يقوى على فعل ذلك مرة أخرى وخاصة عند أمرهم بقتل أختهم.

ما كان من الدون إلا أنه صاح بأعلى صوته قائلاً:

- " ما هذا التمرد, ابنتي والآن أبنائي جميعاً"

ثم نظر إلى ليو وهو يقترب منه والغضب يكاد يغادر عينيه وبدأ على وجهه أنه لا ينوي على خير, فعرف ليو أنها نهايته الحقيقة, وفاستسلم إلى اقتراب الدون الذي صاح بدوره قائلاً:

- " أنت السبب أيها الفتى لابد أن تموت "
- " عزيزي إليخندرو "

وقع ذلك النداء على الدون إليخندرو كوقع الصاعقة, تجمددت أقدامه في مكانه فهو يعرف ذلك الصوت جيداً اتسعت عينا الدون عندما رأى أمام عينيه امرأه ترتدي فستانا أبيض تمتلك عسليتان وتبتسم إليه, نعم إنها زوجته صوفيا اقترب منها والدموع تسيل من عينيه وهمست له:

- " كيف حالك يا حبيبي؟ "
- " صوفيا.. لقد افتقدتك "

وضعت صوفيا يدها على خد الدون الذي بدوره أمسك يدها وأبقاها على وجهه والدموع تغادر عينيه, فمسحت دموعه قائلة:

- " لماذا يا عزيزي تحمل نفسك كل هذا العناء؟ "
- " عزيزتي لقد عشنا في سعادة, وكنا سنكمل كل حياتنا في سعادة لولا هؤلاء الحمقى عديمي الرحمة "

زادت دموع الدون وقال بصوت باكي:

- " لو كان هناك أحد يستحق أن يحيا سعيداً لكنا نحن هؤلاء "

نظرت مارجريتا إلى عيني الدون الباكيتان, ومسحت دموعه بكفيها وقبلت يده وقالت له:

- " عزيزي لا تجعل الكره يعمي بصيرتك.. منذ أن توفيت وروحي لا تفارق هذا المكان أطمئن عليكم يوماً بعد يوم "

أشارت صوفيا إلى مارجريتا وابتسمت قائلة:

- " أرى كل يوم نظرتك إلى مرجريتا و هى تذكرك بي... إنها تشبهني إليخندرو.. إنها ابنتنا "

وضع الدون يديه على وجه صوفيا ووجهه مليء بالشوق لزوجته وقال بصوت حنون:

- " عزيزتي صوفيا لقد افتقدتك كثيراً "
- " والدي هل أنت بخير؟ "

كانت تلك كلمات جيكاب الذي قطع ما دار في عقل الدون اليخندرو الذي افاق من تفكيره وقال بصوت هاديء وهو ينظر إلى الأرض:

- " خذوا مرجريتا من هنا "

أخذ الأخوان مرجريتا رغماً عنها, فقد كانت تعلم أن تلك المرة هي الأخيرة التي سوف ترى بها ليو نظرت نظراتها الأخيرة وقد تأكدت من وجه والدها أن ليو سوف يقتل,

اقترب الدون من ليو وهو على نية بأنه سوف يقتل ليو وتحول إلى ظل....

هنا صاح ليو قائلاً:

- " أنا لا أخافك هيا اقتلني, لم أعد أخاف الموت لقد سئمت حياتي.... لا أهتم سوى بنفسي لا أعرف غير الترف والغرور.. أنا أعرف أنني أشبه من قتلوا زوجتك أنا ذاك الأحمق المتهور... هيا اقتلني ولكن قبل قتلي سوف أطلب منك طلب لا تؤذي من جعل لحياتي قيمة من علمني ما هو الحب الصادق والتضحية لا تؤذي... مرجريتا "

توقفت أقدام الدون حيث يقف ويعود إلى حالته العادية, وهو يتذكر كلام صوفيا, وهو يراه أمامه أثناء كلامه, نعم إنها تنظر إليه وتقترب منه لا ليست هي فقط إيمت وجيكاب ومارجريتا أيضاً جميعهم يقتربون منه ويبتسمون.

عاد الدون بعض الخطوات إلى الخلف وهو يكلم نفسه قائلاً:

- " مرجريتا ابنتي.... أنا اؤذيها.... إنها تذكرني بصوفيا زوجتي.. أنا أصبحت ذلك الشخص الذي يؤذي ابنته... إلى هذا الحد أعمى الكره بصيرتي "

نظر الدون إلى ليو الذي كان ينحني على الأرض وينظر إلى الأرض وهو في انتظار الموت وقال الدون وهو يرى صوفيا و أبناءه يقفون بجواره:

- " أخرج من هنا أيها الفتى, وأروي للناس قصة ظلال عاشوا مع الغائب في الحاضر ومع الماضي في المستقبل وجمع شملهم الحب, اذهب أيها الفتى فقد حان وقت أن تختفي الظلال ".....

[13]

حل الصمت على المكان بضع ثواني حتى رفع ليو رأسه ببطء إلا أنه لم يجد أي أحد من حوله, اختفت الظلال و ظل ليو يهرول في القصر كالمجنون وهو يبحث عن الظلال وينادي حبيبته مارجريتا إلا أنه قد يأس من أن يجد أحد بالمنزل وقد وقف أمام الساعة, وهو يقول بصوت عالي كأنه يحدث القصر:

- " حتى وإن اختفت الظلال من هذا العالم سوف آتى إلى هنا كل عيد ميلاد بحثا عنها ولن تختفي من قلبي قصة ظلال..... ولكن... "
- " استيقظ يا ليو استيقظوا جميعاً, هيا سوف نغادر "

تلك الجملة قالها سيمون وهو يوقظ أصدقاءه بعد أن كفت السماء عن المطر وأشارت الساعة أن الوقت أصبح الرابعة صباحاً

فاستيقظ الجميع ليغادروا أما ليو فلم يكن مستوعباً أن كل ما حدث كان حلما, مارجريتا والدون والظلال كل ذلك حلم إلا أن جوليا قد قطعت تفكيره قائلة:

- " ليو ماذا بك هيا نغادر يا حبيبي "

يخرج الجميع من القصر ويبقى ليو يتأمله ويتأمل كل شيء حدث بكل ركن به حتى قطع تأمله مرة أخرى سخرية ماركو الذي قال ضاحكاً:

- " هيا يا ليو وإلا أكلتك الأشباح "

يودع ليو القصر ثم خرجوا جميعاً منه

- " وهكذا تكون قد أنتهت قصتنا يا أطفال.. ما رأيكم إذن؟ دعوني أصف لكم ماذا يجري الآن "

قصر مكون من طابقين الطابق الأول به بعض الكراسي والصور المعلقة على الحوائط وساعة كبيرة ومن الواضح أن الطابق الثاني به غرف المعيشة وغرف النوم

شاب في الثلاثين من عمره يجلس على أحد الكراسي وأمامه طفلان لا يتجاوز عمرهم العشر سنوات ولد وفتاة أما عن الولد فهو الكبير له شعر أسود ناعم يمتلك ملامح الوسامة ويدعى " سيمون "

أما عن الفتاة فهي الصغرى تمتلك عينين عسليتين وشعر ذهبي صغير وتدعي ب " إليزا "

ومن الواضح أن ذلك الشاب كان يروي شيء للطفلين, وأنتهى منه, وطلب منهم أن يعرف رأيهم فكانت إجابة الطفلة إليزا:

- " لقد أعجبتني كثيراً يا عمي إيمت "

إذن إيمت هو من كان يروي لهم تلك القصة إلا أن أخاها قد قاطعها وهو غير راض قائلاً:

- " لم يعجبني بها إلا أنك استخدمت اسماءنا على أشخاص بها ووصف القصر أيضا, ولكنها لم تكن متقنة "

رفع إيمت حاجبيه مستفهماً منه قائلاً:

- " وما الذي لم يكن متقن بها يا سيادة الفيلسوف "

على الرغم من أنه طفل صغير إلا أنه يمتلك ذكاء غير متناسب مع عمره, فاعتدل في جلسته وابتسم ساخراً و قال:

- " هناك أمران غير معقولان في هذه القصة.. الأمر الأول كيف تكون تلك هي نهاية قصة ليو و مارجريتا بأن ليو كان يحلم بكل ذلك على الرغم من أنهما تزوجا وأنجباني أنا وأختي إليزا "

حك إيمت رأسه وهو يعلم أن كلام الطفل صحيح, فأحداث هذه القصة غير حقيقية فتابع الطفل:

- " أما الأمر الثاني كيف تكون صوفيا... "
- " هيا يا أطفال إنه موعد الطعام "

ذلك الصوت الذي قطع النقاش بين الطفل سيمون وعمه إيمت كان صوت مارجريتا التي تنادي على أطفالها للذهاب إلى تناول الطعام فنظر الطفل إلى عمه قائلاً:

- " سوف نكمل حديثنا غداً لأن هناك المزيد من الأخطاء"

ضحك إيمت بعد أن هز رأسه بالموافقة, فهو لم يكن يتوقع أن سيمون بهذا الذكاء..

- " لم تكن تتوقع أن سيمون بهذا الذكاء أصحيح؟ "

قاطعت تلك الجملة تفكير إيمت, فلم يكن الطفلان فقط من كان يستمع إلى قصة إيمت فكان هناك شاب آخر يستمع إلى القصة كان متكأ بكتفه على أحد حوائط المنزل كان شابا أكبر من إيمت في العمر مع أن إيمت كان أكثر طولاً منه, ضحك إيمت عندما علم أنه كان يستمع إليه وقال له بعد أن جلس ذلك الشاب بجواره:

- " من الواضح أن ذلك الطفل يشبه أباه كثيراً "

ضحك الشاب كثيراً وقال لإيمت:

- " من الواضح أن أبنائي يشبهاني كثيراً "

فاسرع إيمت والابتسامة على عرض وجهه ممسكاً يده وسأله:

- " ليو.. مارأيك إذن بقصتي "

ضحك ليو ساخراً مجاوباً:

- " كما قال سيمون بالطبع غير متقنة "

اختفت الابسامة من وجه إيمت الذي إحمر غيظاً وهو يناجي نفسه قائلاً ياله من منزل لعين, لا أحد يجامل به وقاطع ليو سخط إيمت قائلاً:

- " أين إيمت الفيلسوف, وما تلك ا للهجات الغريبة التي استخدمتها في رواية قصتك "

وقف إيمت فاخراً وهو يقول:

- " ومنذ متى وأنتم تفهمون في كتابة القصص يا صديقي, عليك أن تخاطب عقل المستمع إنني أقص هذه القصة لأطفال صغار لو استخدمت الأسلوب الفلسفي لما فهموا مني أي شيء, وتلك ا للهجات الغريبة والأوصاف المضحكة والأصوات الرفيعة أنها جميعها لإضحاك الأطفال حتى لا يملوا مني "

ثم حك إيمت رأسه, وارتسمت الابتسامة ساخراً من نفسه قائلاً:

- " ولكن من الواضح أن أطفالك كبروا ولم يعودا أطفالاً بعد الآن, وخاصة سيمون لن أحكي له حكاياتي مرة أخرى "

ضحك ليو كثيراً من طريقه إيمت المضحكة, وقال:

- " لا تحزن يا صديقي, أنت جيد في الكتابة, ولكن أعتقد أن عليك أن تقص الأحداث الحقيقة حتى لا يسخروا منك مرة أخرى "

ضحك إيمت قائلاً بلهجة غريبة التي استخدمها في روايته:

- " كنت بحط التاتش بتاعي "

ازداد ضحك ليو إلا أنه توقف فجأة كأنه تذكر شيئا وأدار وجهه إلى إيمت ثم قال:

- " لكن لم يكن عليك أن تقص أحداث القتل لا أريد أن يتأثر بها الأطفال ويصبحوا عدوانين "

رد عليه إيمت في ثقة وفخر:

- " لذلك اخترت تلك النهاية لأنه في النهاية لم يمت أحد وجميعهم خرجوا سالمين "
- " بدأت اقتنع بذكائك يا صديقي, عليك أن تحاول الدخول في مجال كتابة الروايات "

فكر إيمت قليلاً في الأمر ثم هز رأسه موافقاً وهو يقول:

- " لقد أعجبتني الفكرة, سوف أقوم بكتابة تلك القصة, ومن يدري بعد عدة سنوات يمكن أن تصبح فيلماً مشهوراً مثل هيبتا مثلاً "

ضحك ليو مداعباً وهو يقول:

- " حسنا يا سيادة المؤلف ماذا سوف تسمي روايتك "

فكر إيمت قليلاً وطرقع أصابعه كأنه وجد الاسم قائلاً:

- " محكمة الظل "
- " اختيار ذكي, فمحكمة الظل هي.... "
- " أيها الحمقى الأغبياء ألم تسمعوا أنه موعد الطعام.. كفاكم ثرثرة وهيا إلى الطعام "

كانت تلك هي كلمات الدون اليخندرو الحارقة وهو يوبخ إيمت وليو

ضحك الاثنين كثيراً وقال ليو:

- " أعتقد أن بالقصة بعض الأشياء الحقيقة منها الدون اليخندرو و اسم ال... "
- " هيا أيها الحمقى لن ننتظركم كثيراً "

بالطبع لا تحتاجون أن تعرفوا من قال تلك الجملة

" واضحة كالشمس "

أمسك إيمت يد ليو وهما يهرولان قائلاً:

- " أسرع قبل أن يأتي هو ويحضرنا بطريقتة الخاصة "

بعد عدة سنوات:

استطاع إيمت بالفعل كتابة روايته الأولي " محكمة الظل " والتي نالت

إعجاب الجميع وتم صناعتها على أنها فيلم وتم عرضه فى السينما وكان جديداً من نوعه, انتهي الفيلم واستمتع به الجميع ولكن هناك سؤال دار

في عقل الجميع هل هناك حقاً ما يسمي بالظلال أم أن ذلك من خيال الكاتب, ولكن الفيلم قد أعجبهم أكثر من ذلك السؤال, فقاموا بالتصفيق من أجله وتهنئة إيمت على عمله الجيد و كل عائلة إيمت كانت سعيدة بعمله هذا إلا شخص واحد وله الف حق أن يغضب من إيمت, فكيف يقول عنها ابنها أنها توفت في حادث سيارة..... يالك من أحمق يا إيمت.

[14]

- " أجننت تعود مرة أخري إلى الداخل.. لقد خرجنا بمعجزة إذا دخلت مرة أخرى سوف تقتل "

قالها سيمون بعد أن هربوا هو وأخته وليو من قصر الظلال قالها متعجباً من رغبة ليو الذي أراد العودة إلى داخل القصر مرة أخرى, ورد عليه ليو قائلاً:

- " لابد أن أدخل يا صديقي, هناك وعداً قطعته إنني سوف اثبت شيء ما "

ازدادت ابتسامة ليو وهو ينظر إلى القمر:

- " ذلك الشيء جعلني لا أخاف الموت, ولا أريد الحياة من دونه فإن كنت سأفتقده و من حياتي فوقتها يكون الموت أجمل من الحياة "
- " ولكن يا صديقي.. "
- " لا تقلق يا سيمون لن يصيبني مكروه "

قالها ليو مقاطعاً كلام سيمون, ثم وضع يديه على كتف سيمون ونظر إلى إليزا التي كانت ممسكة بقوة بملابس أخيها قائلة:

- " اعتني بالمشاكسة إليزا هيا اذهب أنت, والدتك تنتظركم "

قاطعت كلام ليو صوت إليزا الخافت التي قالت:

- " لا لن أذهب إلى والدتي "

ثم جذبت ملابس أخيها بشده وهي تكاد أن تبكي وقالت بصوت حزين:

- " أرجوك يا سيمون أريد الذهاب إلى والدي.. أريد أن أعوض تلك السنوات الكثيرة التي قضيتها بدونه أريد أن أقول له أنني أحبه.. أرجوك يا سيمون "

ابتسم سيمون بشدة واحتضن أخته ومسح دموعه وهو يقول:

- " حسنا يا عزيزتي سوف نذهب إلى والدنا "

نظر سيمون إلى ليو الذي كان ينظر إليهم وهو يبتسم وقال:

- " لقد قررت أننا سوف نسافر إلى والدنا وهذا يعني أنه في الأغلب لن نأتي إلى هنا مرة أخرى نريد أن نعوض والدنا عن كل ما فعله من أجلنا.. وهذا يعني أن تلك من الممكن أن تكون آخر مرة نلتقي بها يا صديقي "

ابتسم ليو وصافح صديقه وداعبه قائلاً:

- " لا عليك يا صديقي أنا حتي لا أعلم أن كنت سأنجو من ذلك القصر أم لا, ولكن عدني أنك لو عدت إلى هنا مرة أخرى تأتي لتراني إن كنت حيا "

احتضنه سيمون بقوة وعيناه تلمعان بالدموع فبادله ليو الأحضان وكأنهما أحسا أن تلك آخر مرة يرى كل منهما الآخر, اظهر سيمون وجهه المرح قائلاً:

- " أعدك أيها الأحمق "

ضحك ثلاثتهم وأعطى سيمون صورة كانت إحدى صورتين متشابهتين قد احتفظ بهما تلك الصورة كانت لسيمون وليو أخذها ذلك الأخير ووضعها في جيبه, ثم داعب إليزا الصغيرة وودعهما الإثنين بحرارة والدموع كادت تفارق عينيهم

ذهب سيمون وإليزا وبقي ليو ينظر إلى السماء وكأنها النظرة الأخيرة له على العالم وعاد إلى المنزل ليواجه مصيره.....

" أنا يا والدى قد ساعدتهم "

قالتها مارجريتا وقطعت وصلة الشجار بينهم, أفلتهم الدون ونظر إلى مارجريتا وهو حانق وقال غاضباً:

- " كيف تتجرأي على خيانتي "

نظرت مارجريتا إلى الأرض, وقالت بنبرة الحزن:

- " لم أحتمل يا والدي أن أرى من أحببت يقتل أمام عيني وأنا التي قتلته "

أمسك الدون يد ابنته بقوة ودفعها فوقعت على الأرض وصاح بها:

- " أتحبيه... يا لكي من طفلة ساذجة "

أمسك الدون شعرها وجذبها منه وقال غاضباً:

- " وياله من قلب أحمق وسهل الخداع, لقد خدعك لكي يهرب "

ثم أفلت الدون شعرها ووقف و نظر إليها قائلاً:

- " سوف تنالين العقاب المناسب "
- " توقف "

ذلك بالطبع كان ليو الذي جعل حالة السكون تسود القصر, عاد ليو إلى القصر رافع الرأس لا يظهر عليه أي آثار الخوف, ولكن آثار الخوف تلك كانت على وجه مارجريتا التي صاحت به بغضب قائلة:

- " يالك من غبي, لماذا عدت لن يرحمك الآن؟ "

حاولت مارجريتا أن تدافع عنه إلا أن ليو هو من منعها قائلاً:

- " لا يا مارجريتا لا أريدك أن تدافعي عني, إنه مصيري ويجب أن أخوضه وحدي "

وقف ليو أمام الدون رافعاً وجهه وهو يقول بثقة:

- " أنا لم أعد أخاف الموت "

ضحك الدون ساخراً من ليو قائلاً:

- " يالك من أحمق, لا تدري ماذا ستواجه من عقاب؟ "

ثم تابع وهو ينظر إلى مارجريتا:

- " ولكن يمكن أن أترك فرصة للحياة مرة أخرى.. نفذ اتفاقنا وسوف أدعك ترحل وسوف أعتبر عودتك كانت تهور غير مقصود منك "

فكر ليو وقت قليل, ثم نظر إلى مارجريتا التي كانت تنظر له وهي تبكي, وابتسم لها وهو يقول:

- " لا تبكي يا عزيزتي هناك شيء أريد أن أخبرك به.. مرجريتا شكراً لكي على إنقاذ سيمون وإليزا, ولكننى عدت لأننى نسيت أن
- أقول لكى شئ

أخرج زفيره وابتسم قائلاً:

- " أنا أحبك وهكذا أكون قد أوفيت بوعدي بأنني سوف أثبت أنه يوجد حب صادق "

- " أنا أيضاً أحبك يا ليو "

اشتد غيظ الدون إليخندرو, ودفع ليو دفعة قوية فأسقطه أرضاً وصاح غضباً وهو يقول:

- " ذلك ليس الاتفاق أيها اللعين, لماذا تصر على الموت؟"

ضحك ليو بصوت عالي جعل الدون يتوقف عن الكلام, ثم نظر ليو إلى حبيبته مبتسماً وهو يقول:

- " هنا في ذلك القصر عرفت معنى التضحية من أجل من تحب من مارجريتا لذلك يمكنني أن أضحي بحياتي من أجلها.. لأنني هنا وجدت حياتي فإذا كانت ستسلب مني مرة أخرى فأنا أفضل أن تسلب وأنا ميت "

نظر ليو إلى الأرض وهو ينتظر الموت

حاولت مارجريتا أن تصرخ وقتها لمنع والدها من قتل ليو, ولكن والدها لم يستمع لها فاقترب من ليو وتشكل على هيئة الظل, وبدأ بقول تعويذة محكمة الظل ثم اتسعت عيناه كان هناك أمر غريب يحدث وعاد عدة خطوات إلى الخلف وآثار الدهشة مازالت على وجهه وهو يتمتم بكلمات غير مفهمومة كان المسموع منها:

- " كيف... محكمة الظل.. ظلام قلبه... لا مستحيل أن يحدث ذلك.. محكمة الظل لا تستجيب "

كان هناك من يشاهد تلك الأحداث وعلامات الحزن لا تفارق وجهه, ولكن عندما حدث ما حدث منذ قليل اختفى الحزن وبدأت الابتسامة تظهر على وجهه واقترب من الدون ووضع يده على كتفه قائلاً:

" كيف حالها أيها الطبيب "

- " لا أعرف ماذا أقول لك يا سيد إليخندرو ولكنها في حالة حرجة جداً الإصطدام كان عنيفاً "

ظهرت الدموع على وجه الدون وهو يحدق بالطبيب الذي كان يصف له حالة زوجته صوفيا بعدما صطدمتها السيارة, طلب الدون من الطبيب أن يدخل لكي يراها وسمح له الطبيب بالدخول ولكن لخمس دقائق فقط.

دخل الدون على زوجته التي كانت فاقدة للوعي وبالكاد تتنفس, بكى الدون بحسرة وهو يكلمها قائلاً:

- " لا تتركيني يا حبيبتي أرجوكي لا أريد أن أعيش تلك الحياة بدونك, أنا لن اتركك تفارقيها, سوف أفعل أي شيء حتى تظلي معي "

ارتفع صوت بكاء الدون وتساقطت قطرات دموعه على خد صوفيا بعدما احتضنها ففتحت عيونها بصعوبة وابتسمت له ثم فقدت الوعي

مرة أخرى. قبل الدون جبينها ثم خرج من الغرفة مسرعاً وهو يعرف جيداً أين يذهب

اتجه الدون إلى أحد معارفه الذي كان يدينه بحياته, فقد أنقذه في أحد المرات عندما كان يخدم بالجيش, ذلك الرجل كان معروفاً بعلمه الواسع في مجال السحر والتعويذات, رجل عريض يرتدي بذلة راقية, وله شارب ثقيل ذلك كان وصفه عندما قابله الدون وقص عليه ما حدث لزوجته وأنه يريد أن ينقذها بأي شكل من الأشكال, فكان رد ذلك الساحر مقنعاً:

- " سوف أعطيك الحماية والنجاة لزوجتك وأطفالك وأيضاً.. حق الانتقام "

ارتفع حاجبي الدون وهو يفكر بمعنى كلامه وقال:

- " كيف وماذا تقصد بحق الانتقام "

ابتسم الرجل وتقدم للأمام واضعاً يده على المكتب الذي كان يجلس عليه قائلاً:

- " لا عليك بكيف إنها تخصني أنا.. أما عن حق الانتقام فهو لك أنت تستطيع أن تقتل من فعلوا بزوجتك هكذا... تستطيع أن تقتل هؤلاء البشر الحمقى وكل من يقترب من منزلك "

أسرع الدون قائلاً:

- " ولكنني لا أريد القتل "
- " ومن قال لك أنك سوف تقتل بيدك "
- " ماذا تقصد أرجوك وضح "

قالها الدون وهو مازال لم يفهم ماذا يقصد الساحر ولكن الابتسامة عادت إلى وجه ذلك الساحر قائلاً:

- " أنت لن تقتل بيدك, بل ستجعله هو من يقتل نفسه إذا كان يستحق الموت أي أن ظلام قلبه من سيقتله فإن كان يملك قلباً صادقاً فلن تستجيب لك " محكمة الظل "
- " محكمة الظل "

قالها الدون وقد ظهرت ابتسامته على وجهه, فقد كان حينها يعرف أنه ما باليد حيلة وعليه أن ينقذ زوجته بأي شكل من الأشكال وفي داخله أيضاً يريد معاقبة من فعلوا ذلك في حبيبته أو بالأصح يريد أن يعاقب كل البشر, وكان يعلم جيداً أنه لا أحد يمتلك قلباً صادقاً.

وافق الدون على عرض الساحر وأخذ منه التعويذات التي ستحوله هو وعائلته إلى ظلال, ومن خلالها يستطيع أن ينقذ زوجته, ويستطيع أن يعاقب أي بشر يقتربون من منزله ولكنه أخذ أيضاً تعويذات العودة مرة أخرى إلى بشري

عاد الدون إلى زوجته وفرح كثيراً عندما عرف من الطبيب أن زوجته أفاقت وأبنائه عندها, ولكنها مازالت بحالة حرجة وبالكاد تستطيع الحديث.

دخل عليها الدون وقبلها وهو يبكي علي حالها ثم قص عليها ما حدث عند الساحر ورغبته في التحول إلى ظلال ومعاقبة جميع البشر الحمقى عديمي الرحمة.

على الرغم من أن صوفيا لا تقوي على الحديث, وأنها قد تموت إذا لم يفعل ذلك إلا أنها عارضت تلك الفكرة وخاصة فكرة الانتقام تلك التي كانت تسيطر على عقل الدون ولكن بعد إصرار الدون قائلاً:

- " لماذا تشفقين على هؤلاء الحمقى إنهم لا يستحقون الحياة.. ثم أنني لن أقتل أحداً, بل من يحاول أن يقترب من منزلى وعائلتي مرة أخرى سأجعل ظلام قلبه ينتقم منه.. فلو كان قلبه غير صادق فهو لا يستحق الحياة لأنهم على شاكلة من كادوا يأخذوا حبيبتي مني "

اقتنعت صوفيا بكلامه, ولكنها مازالت معارضة الفكرة لولا إصراره الشديد وأنها تخشي أن تموت فيفعل الدون شيئاً أخرقاً قد يودي بحياته أو يؤذي أطفاله.

وافقت صوفيا وما كان من الأطفال إلا الموافقة لإنقاذ حياة والدتهم وأخذهم إلى القصر وبعد أن كتب تلك الجمل على الصخرة أمام المنزل حسب رغبة صوفيا حتى تبعد زوجها بقدر الإمكان عن فكرة الانتقام, ولكن الدون نفذ ما طلبته ولم ينفذه فقد كتب على الصخرة وأخفاها حتى لا يراها أحد, ولكن بعد ذلك حاولت صوفيا بقدر الإمكان أن يراها

البشر حتى لا يدخلوا فقد كانت تجعل الحجارة المخبأه تحتها أن تتوهج ولكن الدون لم يرض بفكرة عدم الانتقام, فكان هو من يسمح بدخول البشر ويفتح لهم الباب.

لكن قبل أن يتلو التعويذات ليتحولوا كان هناك آخر سؤال من صوفيا:

- " لكن ماذا إن وجد أحداً يمتلك قلباً صادقاً "

ضحك الدون فقد كان مقتنعاً تماماً أنه لا يوجد بالبشر من هو صادق فرد عليها قائلاً:

- " أعدك أنني إن وجدت من يمتلك ذلك القلب سوف أدعه ليقرر مصير عودتنا إلى عالم البشر مجدداً "

- " أظن أنه حان وقت أن تنفذ وعدك يا عزيزي "

لم يكن الدون يعتقد أنه سوف يأتي عليه ذلك الوقت الذي ينفذ به وعده فقال وهو شارد الذهن:

- " منذ اللحظة التي رأيتهم بالمنزل عرفت أن الأخوين يمتلكان قلباً صادقاً فخفت من أن أنفذ وعدي بسببهما, ولكن الباقين كانوا يستحقون الموت لذلك لم أمنع مارجريتا من جعلهم يهربون من المنزل حتي لا أوضع في ذلك الموقف, ولكن ذلك الفتى كيف.. لا أدري ماذا حدث؟ أين ذهب ظلام قلبه "

ابتسمت صوفيا وهي تضع يدها على خد الدون قائلة:

- " إن تضحيته من أجل مارجريتا وحبه الصادق لها محى ظلام قلبه.. إنه وقت تنفيذ الوعد يا عزيزي "

- " لكنني أخشي أن نعود عالم البشر مرة أخرى, أخاف أن يحدث لكي أي مكروه "

أمسكت صوفيا بيد أبنائها وأمسكت بيد اليخندرو وهي تقول:

- " لا عليك يا عزيزي لن يحدث أي مكروه "

هز الدون رأسه موافقاً ونظر إلى ليو قائلاً:

- " ظلام قلبك من سيقتلك, فقط القلب الصافي يستحق... أن يقرر مصيرنا "

هنا ولأول مرة يفهم ليو معنى تلك الجملة

- " ليو... ليو.. استيقظ يا عزيزي الفطور جاهز "

كانت تلك كلمات مارجريتا الرقيقة وهي توقظ زوجها من النوم, ثم قبلته, وخرجت من الغرفة ؛قام ليو من النوم وهو مبتسماً, اتكأ بيديه على السرير ناظراً من الشرفة التي أضاءت الغرفة بضوء الشمس الدافيء وهو يقول لنفسه:

- " إن حكايات إيمت تجعلني أفكر بها كثيراً حتى أصبحت أحلم بها ذلك ما كان ينقصني "
- " عزيزي هناك ضيفاً ينتظرك بالأسفل "

قالتها زوجته من خارج الغرفة فقام ليو إلى أحد الأدراج وأخرج منه شيئاً نظر إليه جيداً وهو يبتسم, وعلامات الشوق تملأ وجهه ثم نزل ليقابل الضيف الذي انتظره بالأسفل, عندما وصل إلى مكان استقبال الضيوف ورأى الضيف ملأت الابتسامة وجه ليو فضحك لذلك الضيف وقال:

- " كيف حالك يا صديقي.. جئت لأنفذ وعدي "

بادله ليو الضحك قائلاً:

- " لقد افتقدتك كثيراً.. كيف حال السيد فرويد والمشاكسة الصغيرة؟..... "

تمت بحمد الله

كلمة الكتاب

سؤال بسيط إذا كنت في محكمة وأنت كنت الجاني الذي ارتكب الجرائم والقاضي العادل الذي سوف يحكم عليك والجلاد الصارم الذي سوف يعاقبك, فكيف ستكون حينها عندما تفكر أنه أنت من تحاكم نفسك

فكرت أم ترددت بشأن إجابتك!!

لا يهم

لأنه مهما كانت إجابتك سوف تختلف عندما ترى